كتاب

علاقة الإثبات بالتفويض

بصفات رب العالمين

تأليف

رضا نعسان معطي

الطبعة الأولى عام ١٤٠٢هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله .

اما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القائل : (١) « لاتزال طائفة من أمتى على الحق منصورين لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله عز وجل .

فهم ظاهرون دائما بالحجة والبيان والدليل والبرهان ومن نعم الله تعالى على هذه الأمة ورحمته بها انه قد اوضح لها الحق وابانه لها ولم يدعها فى عمياء مبهمة ولا سوداء مدلهمة بل تركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعده الا هالك .

ومن أعظم نعم الله تعالى على المسلمين ان حفظ لهم أصول

---

(١) رواه البخارى ومسلم وابن ماجة من حديث معاوية ابن ابى سفيان رضى الله عنه ورواه أبو داود من حديث ثوبان والترمذى من حديث قرة بن اياس المازنى ، أنظر فتح البارى ٧٣١٢ وصحيح مسلم باب الامارة رقم ٧٤ وسنن ابن ماجة رقم ٧ وسنن أبى داود رقم ٤٢٥٢ وسنن الترمذى رقم ٢٢٨٧ .

بينهم فلا تصل اليها يد التزوير ولا تمتد اليها اصابع التحريف فهى معصومة الاصول لأن رسالة الاسلام هى خاتمه الرسالات وهى دين الله وشرعه الى يوم الدين .

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يتبلى الحق بالباطل وقصة الصراع بينهما بدأت قديمة وسيبقى الى قيام الساعة قال الله تعالى : « ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » .

وقد ترجم النبى صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة بقوله : « افترقت اليهود على احدى أو واثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على احدى أو واثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » (٢) .

ولا غرابة بعد هذا ان تسرى عدوى الفرقة والاختلاف الى صفوف المسلمين ، فيقع الخلاف بينهم فى مسائل كثيرة من أمور دينهم ، وكان من بين هذه المسائل التى وقع الخلاف فيها صفات الله سبحانه وتعالى ، فنفاها قوم واثبتها آخرون وقوم اثبتوا بعضها ونفوا بعضها ، واستندا لقائلون بنفى الصفات الى شبه عقلية واوهام ربما يستقيم ايرادها على صفات المخلوقين والمتماثلين أما ان تعالج على اساسها قضية صفات الخالق جل وعلا فلا ، لأن الله تبارك وتعالى شأنه غير شأن المخلوقين

---

(٢) رواه أبو داود فى باب السنة والترمذى وقال حسن غريب وفى سنده عبد الرحمن بن زياد الأفريقى ، قال الحافظ فى التقريب ضعيف من قبل حفظه ص ٢٠٢ ورواه احمد فى المسند ٤/١٠٢ والحاكم فى المستدرك ١/٢٢٨ وقال : هذا حديث كثر فى الاصول . ورواه ابن ماجة رقم ٩٩١ م والاجرى فى الشريعة ص ١٨ .

لأنه لا يشبه شيء ولا يماثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

وقد أخذ المعتزلة بقسط كبير من هذه الشبه ، وأخذ غيرهم بقسط اقل منهم بينما كان موقف سلف هذه الأمة منطلقا من الاستجابة لطاعة الله تعالى في كلامه وكلام رسوله عليه السلام وتصديقهما في كل ماصدر عن الكتاب والسنة ، فأثبتوا لله تعالى كل صفاته ولم يخضعوها للتقسيمات المحدثة والاوهام المريضة فسلموا بذلك في معتقدهم واثبتوا لله تعالى ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات اثباتا يليق بجلاله وعظمته لاتشبيه فيه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل .

ان مصدر الهداية ومنبع الرشاد هو كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام فكتاب الله تعالى يهدى للتى هى أقوم دائما وأبدا ، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يترك أمرا من أمور الدين الا وبلغه على أحسن وجه واتمه واكمله فهو القائل : « ما تركت من شيء يقربكم الى الجنة الا وقد حدثتكم به وما من شيء يبعدكم عن النار الا وقد حدثتكم به (١) » .

ان السلف الذين اثبتوا صفات الله جميعها يقولون بكل قوة ان الذى اثبتناه من الصفات هو من عند الله ، بينما لا يستطيع الذين عطلوا الله تعالى عن صفاته أو الذين أولوا بعضها أن

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٦٦/٢ من حديث أبى ذر بلفظ قريب منه ورواه الامام الشافعي في « الرسالة » من حديث المطلب بن حنطب رقم ٢٨٩ . وكذا رواه البيهقي في السنن الكبرى ٢٠/٤ . كما رواه الحاكم بلفظ آخر من حديث ابن مسعود المستدرك ٤/٢ . وقد أسهب العلامة احمد شاكر في تخريجه كما في تحقيقه « الرسالة » للامام الشافعي ص ٩٣ — ١٠٢ .

يقولوا ان الذى فعلوه هو من عند الله تعالى، او ان صيغة التأويل الجديدة للصفة هى من عند الله تعالى .

وان كثيرا من هؤلاء المأولين لما راوا اضطرابهم فى هذا المنهج بحثوا عن مخرج لهم ووجدوا هذا المخرج عندما قالوا بتفويض هذه الصفات ، ويعنون به ان الصفات الخبرية التى أولوها قد فوضوا معناها الى الله تعالى مع القطع بأن الظاهر منها غير مراد ، فقالوا فى صفة « الاستواء » لا نعلم معنى الاستواء ولا نعلم كيفيته ونفوض كل ذلك الى الله تعالى مع القطع بأن ظاهر لفظ الاستواء غير مراد ، وهكذا يقولون فى جميع الصفات الخبرية التى اثبتها الله تعالى لنفسه . وهذا موقف مغاير لموقف السلف الصالح لأن السلف يقولون بتفويض الكيفية من الصفة فقط اما المعنى فانه معروف من لغة العرب ولذلك فقد قال الامام مالك رحمه الله : « الاستواء معلوم والكيف مجهول » .

وللمفوضة شبه كثيرة اوردت اهمها فى هذه الرسالة وبنيت وجه الحق ازاءها . وكان من اهم الأسباب التى دفعتنى الى الكتابة فى هذا الموضوع لما رايت كثيرا ممن ينتسبون للعلم وقعوا فريسة هذه الشبة ، حتى أنهم زعموا ان مذهب السلف هو تفويض الصفات المحض ، وان اثبات الصفات لله سبحانه وتعالى ليس مذهب السلف ، بل ان ذلك من اختراع وابتداع شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله — وهذا قول باطل وادعاء ساقط كما سيتضح للقارىء الكريم من خلال مطالعته لهذه الرسالة المختصرة .

ولا نزال الى الآن نسمع من يقول : انه لا فائدة من بحث هذا

الموضوع أو ما يماثله من موضـــوعات العقيدة او اثارتها لأنها تفـــرق الصفوف وتذكى الخلافات وتقـــوى العصبيات الى غير ذلك . فنقول لهؤلاء : انه لابد ان نكـــون فى العقيـــدة على نهج الســـلف بلا زيادة ولا نقصان حتى لا نضـــل او نزل ، ليس فى مسألة الصـــفات فحسب بل فى كل جوانب العقيدة لأن فى ذلك تتحقق معرفة الله المعرفة التى ارادها لأن الجهل بشىء من ذلك ينقص هذه المعرفة وهو نقص فى التوحيد وفى الوقت نفسه رد لما قاله الله وقاله رسوله . ان صفات الله تعالى يجب ان تكون لدى المسلم بدهيات ذهنية تتغلغل فى قلبه فيتحرر من اى ضغط خارجى لما لها من انعكاسات تربوية هامة على النفس البشرية كما ان الغزو الفكرى يستهدف ابتداء تدمير عقيدة المسلم فيجب أن نحصن هذه العقيدة لا أن ندعها عرضة للاهتزاز لأن الجهل بالله أمر خطير وضرره على المسلم كبير لأن ذلك يؤدى ان يكون عرضة للزلات وان يكون قلبه موردا للشبهات ومستقرا للأوهام وما أظن مسلما يقول ان عقيدته هى أقوى من عقيدة الصـــحابة والتابعين وهذا أيضا يدفعنا ان نكون على نهجهم فى الاعتقاد . ان الاصـــلاح يجب ان يبدأ من العقيدة وبســـبب الجهل بمعنى « لا اله الا الله » نرى امامنا صـــور الوثنية ومظاهر الشرك منتشرة بين الناس ، فالشرك فى الصفات أمر خطير ، ويوضـــح ذلك : كمن يعطى علم الغيب للبشر كحال المريدين الذين يزعمون ان لشيوخهم بعض علم الغيب ، أو كله . ان الشرك فى الصفات يوصل الى الشرك فى العبادة كالذين يستغيثون بغير الله تعالى مع ان النبى عليه السلام اعتبر الدعاء هو العبادة . ان الذى ينادى الموتى ويستغيث بهم يعطيهم صفة من صفات الله تعالى وهى « السميع » لأن البشر يفقدون هذه الصفة بعد موتهم ، والذى ينادى الموتى لابد ان يكـــون معتقدا فى نفســـه ان الذى

يناديه له ميزة على البشر ولذا خصه بالنداء وهذا لون من ألوان الشرك .

ان حقائق هذا الدين ومعالمه أصدق ماتكون عند سلف هذه الأمة لانه لا يمكن لمسلم ان يشك فى انهم هم الفرقة الناجية أو أنهم كانوا على غير الصراط المستقيم ، فالمشروع ماسلكوه والمحظور ما تركوه .

فلابد اذا من دعوة صادقة الى معرفة الدين الحق ، وان مثل هذه العودة الحميدة هى التى تحقق للمسلمين عزهم وتستعيد لهم أمجادهم ، لأن تلك العودة تقوم على منهج التغيير واستبدال **كثير مما نحن عليه مما يقال عنه انه الاسلام وصدق الله اذ** يقول : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

ميزات العقيدة السلفية

ان العقيدة التى كان عليها سلف هذه الأمة لها ميزات كثيرة أهمها :

١ — أنها تبتعد بالمسلم عن الشكوك والأوهام وتقطع دروب الشيطان الى نفسه بعد أن تترك فى النفس الطمأنينة الصادقة والارتياح الكامل وهذا هو الموقف الذى يرتضيه الاسلام قال الله تعالى : (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) .

بينما تجد الكثيرين من أتباع الفرق الأخرى فى حيرة تلازم بعض اعتقاداتهم ، قال الامام الغزالى : « الايمان المستفاد من الدليل الكلامى ضعيف جدا مشرف على الزوال بكل شبهة ، بل الايمان الراسخ ايمان العوام الحاصل فى قلوبهم فى الصبا بتواتر السماع » (١) .

كما ان علم الكلام قد اتخذ الجدل الكريه مطية فى اثبات العقائد ، والجدل مذموم فى الاسلام لأن التفسير الحقيقى لنجدل هو بداية الانحراف عن الجادة والأخذ فى بنيات الطرق قال الامام مالك فى ذم الجدل والمجادلين فى الدين : « ارايت ان جاءه

---

(١) الجواهر الغوالى .. للغزالى ص ٩٩ .

من هو اجدل منه ايدع دينه كل يوم لدين جديد » (١) .

ان هذه الكلمة الصادقة من هذا الامام الجليل تدل على حقيقة ما يتردى فيه هؤلاء من قلق وحيرة واضطراب وتناقض وقال الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز : « من جعل دينه عرضة للخصومات اكثر التنقل » (٢) .

واما الجدال المراد فى مثل قوله تعالى : « وجادلهم بالتى هى أحسن » فالمقصود به الجدال المشروع الذى يطلب به الوصول الى الحقيقة فمثل هذا الجدال لا يلحقه ذم لأنه من باب النصيحة المطلوبة شرعا .

وقد أخطأ الذين أوجبوا معرفة علم الكلام ودراسة العقيدة الاسلامية من خلاله ، لأن علم الكلام اذا كان واجبا فان هذا الوجوب مستمد من الشارع واذا كان كذلك فلابد أن تكون أول هذه الأمة وآخرها مخاطبة به ، وعلم الكلام لا نقول بأنه لم يكن موجودا فى زمن الصحابة والتابعين فحسب بل ان النقول عن علماء السلف ممن جاؤوا بعدهم قد تواترت فى ذمه .

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : (٣) « السنة انما

---

(١) رواه الدارمى فى سننه ٩٦/١ ، وابن بطة فى الا بانة الكبرى (ق ١٧١/٢) واللا لكائى فى شرح أصول السنن (ق ٣٧/٢) والهروى فى « ذم الكلام » (ق ٩٤/٢) .

(٢) رواه الدارمى فى سننه ٩٤/١ وقال : اكثر التنقل من راى الى رأى ورواه الاجرى فى « الشريعة » من طريقين ص ٥٦ — ٥٧ . ورواه اللا لكائى (ق ٣١/١) والبغوى فى » شرح السنة « ٢١٧/١ . وابن قتيبه فى « تاويل مختلف الحديث ص ٦٣ . وابن البناء فى « الرد على المتبدعة » (ق ٣/١) .

(٣) رواه ابو عبد الله بن بطة فى الا بانة الكبرى فى طريقين (ق ١٠٩/١) وابن وضاح فى « البوع والنهى عنها » ص ٣٠ .

سنها من علم ماجاء فى خلافها من الزلل ولهم كانوا على المنازعة والجدل اقدر منكم » .

وقال الامام الشـــافعى رحمه الله تعالى : « لئن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن ينظـــر فى علم الكلام » (١) . وقال ايضا : « وحكمى فى علماء الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ويقال : هـــذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ فى الكلام » (٢) . وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى : « لا يفلح صـــاحب كلام أبدا علماء الكلام زنادقة » (٣) . وقال الامام عبد الله بن المبارك : « من تعاطى الكلام تزندق » (٤) . وكان الامام مالك اذا جاءه بعض أصحاب الأهواء يقول : أما أنا فعلى بينة من ربى وأما أنت فشاك فاذهب الى شاك مثلك فخاصمه » (٥) .

وقد حفظت لنا بطون الكتب نصـــوصا كثيرة فى تراجـــع من اشتغل بعلم الكلام سيما الاقطاب منهم ومن اشهر هؤلاء الشهر ستانى الذى أنشـــد فى أول كتابة « نهـــاية الاقدام فى علم الكلام » (٦) .

---

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية ١١١/٩ وابن ابى حاتم فى مناقب الشـــافعى ص ١٨٢ ورواه ابن عبد البر فى « الانتقاء فى فضائل الثلاثة الائمة الفقهاء » ص ٧٨ .

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية ١١٦/٩ . وابن عبد البر فى « الانتقاء » ص ٨٠

(٣) أنظر مناقب الامام أحمد لابن الجـــوزى تحقيق د . التركى ص ٢٠٤ .

(٤) رواه ابن بطة فى الابانة الكبرى (ق ١/١٥٩) والسلفى فى « الطيوريات » عن الفضيل بن عياض .

(٥) رواه اللالكائى بلفظ قريب منه عن مالك رحمه الله (ق ١/٣١) .

(٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٧ وما بعدها ومختصر الصواعق لابن القيم ١٠/١ .

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها
وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائر
على ذقن أو قارعا سن نادم

كما أنشد الرازى فى هذا المعنى أيضا : (١)

نهاية اقدام العقول محال
واكثر سعى العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ومن هؤلاء ابن أبى الحديد المعتزلى القائل :

تاه الأنام بأسرهم فاليوم صاحى القوم عربد
والله ما موسى ولا عيسى المسيح ولا محمد
عرفوا ولا جبريل و هو الى محل القدس يصعد

من كنه ذاتك غير أنك واحد فى الذات سرمد

عرفوا اضافات ونفيا والحقيقة ليس توجد

فليخسأ الحكماء عن حرم له الأملاك سجد
من أنت يارسطو ومن افلاط قبلك يامبلد

---

(١) المرجع السابق .

ومن ابن ســـــينا حيث قر ر ما هذيت به وشـــــيد

هـــــل انتم الا الفـــــراش رأى الســـــراج وقـــــد توقـــد

فدنا فأحـــرق نفســـه ولو اهتدى رشـــدا لأبعد (١)

هذه بعض نصوصهم الشـــعرية ، واما اقوالهم المنثورة فهى اكثر من أن تحصى واظهر من أن تخفى وسأكتفى بذكر بعض هذه الأقوال من كتاب ابن الجوزى « تلبيس ابليس » فقد قال : وكيف لا يذم الكلام وقد أفضى بالمعتزلة الى انهم قالوا : ان الله عز وجل يعلم جمل الأشياء ولا يعلم تفاصيلها ثم ســـاق كثيرا من أقوالهم القبيحة وقال : اعوذ بالله من نظر وعلوم أوجبت هـــذه المذاهب القبيحة ، وقد زعم أرباب الكـــلام أنه لا يتم الايمان الا بمعرفة ما رتبوه ، وهؤلاء على الخطأ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالايمان ولم يأمر ببحث المتكلمين ودرجة الصحابة الذين شهد لهم الشارع بأنهم خير الناس على ذلك .

وساق ابن الجوزى بسنده أن الوليد بن أبان الكرابيسى لما حضرته الوفاة قال لبنيه : تعلمون احدا اعلم بالكلام منى ؟ قالوا : لا ، قال : افتتهموننى ؟ قالوا : لا ، قال : فانى أوصيكم أتقبلون ؟ قالوا : نعم ، قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث فانى رأيت الحق معهم » .

وكان ابو المعالى الجوينى « امام الحرمين » يقول : لقد جلت

---

(١) ص ١٤٨ من كتاب « ايثار الحق على الخلق »

اهل الاســـلام جولة وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصـــت فى الذى نهوا عنه كل ذلك فى طلب الحق وهربا من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل الى كلمة الحق ، عليكم بدين العجائز فان لم يدركنى الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويختم عـــاقبة امرى عند الرحيل بكلمة الاخلاص فالويل لابن الجوينى ، وكان يقول لاصحابه : يا اصحابنا : لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى ما بلغ ما تشاغلت به » .

وقال ابو الوفاء ابن عقيل لبعض اصـــحابه : انا اقطـــع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض فان رضيت أن تكون مثلهم فكن وان رايت ان طريقة المتكلمين اولى من طريقة ابى بكر وعمر فبئس مارأيت ، وقد افضى الكلام باهله الى الشكوك وكثير منهم الى الالحاد ، تشم روائح الالحاد من فلتات المتكلمين واصل ذلك انهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع وطلبوا الحقائق وليس فى قوة العقـــل ادراك ما عند الله من الحكمـــة التى انفـــرد بها ولا اخـــرج البارى من علمه لخلقـــه ما علمـــه هـــو من حقائق الأمور » (١) .

وما احسن ادب البونى فى قوله : « علم الخلائق فى علم الله مثل لا شىء فى جنب مالانهاية له ، والقصـــــد ان من عرف منه الخطأ فى الجليات فكيف يكـــون حاله متى خاض فى مثل هـــذه الخفيات وترك عبارات الحق الذى نص على انها لا تبدل كلماته وانه لا معقب لحكمه وان كتابه لو كان من عند غيره لوجدوا فيه

---

(١) ص ٩١ ــ ٩٤ من كتاب (تلبيس ابليس) لابى الفرج ابن الجوزى . وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٨

اختـــلافا كثيرا وانه نور وشـــفاء وهدى لا ريب فيه فكيف تترك عبارات هذا المعجز الباهر وتبدل بعبارات من لا عصـــمة له عن الخطأ بل عن القبائح والكفر اعاذنا الله تعـــالى منـــه » (١)
وقال ايضـــا :

« فان الذى وسع دائرة المراء والضلال هو البحث عما لايعلم والسعى فيما لا يدرك وطول السعى والســـير فى الطريق التى لا توصـــل الى المطلوب والاقتداء بمن يظن فيه الاصـــابة وهو مخطىء والاشتغال بالبحث عن الدقائق التى لا طريق الى معرفتها ولا يوصـــل البحث عنها الى اليقين ولا الى الوفاق ولا ظهـــرت للخوض فيها مع طوله ثمرة نافعة لا باليقين صادعة ولا للافتراق جامعة ولا روى عن أحد من الأنبياء عليهم الســـلام ولا صح عن أحد من السلف الكرام وربما انقطع هذا العمر القصـــير فى تلك الطرق البعيدة قبل البلوغ الى المقصود بها وهو معرفة الواجب من الباطل المهلك ومعرفة المحق من المبطل » .

ثم قال : « ولعل كثيرا من النظار المتأخرين يعترف بأنهـــا محارات ومجاهل لا هداية للعقول فيها الى اليقين ثم يعتقدون أن عقائده المبنية عليها صحيحة قطعية وهذه غفلة عظيمة فان الفرع لا يكون أقوى من الاصل لا فى علوم الســـمع ولا فى علوم العقل ، ثم ان المتكلمين كثيرا مايقفون المعارف الجلية الواضحة على أدلة دقيقة خفية فيتولد من ذلك مفاســـد منها : ايجاب مالا يجب من الاستدلال وتكلفه وتكليفه المسلمين ومنها تكفير من لا يعرف ذلك أو تأثيمه ومعاداته ومع ذلك تحريمه يؤدى الى حرام

---

(١) ص ١٤٧ » » (ايثار الحق على الخلق)

آخر وهو التفرق الذى نص القرآن على النهى عنه : ومنها تمكين أعداء الاسلام من التشكيك على المسلمين فيه وفى أمثاله . ومنها الابتداع وتوسيع دائرته .

واعلم ان كثرة التعنت فى النظـــر تؤدى الى طلب تحصيل الحاصل والتشكيك فيه وقد جربنا ذلك وتأثيره فى الموسوسين فى الطهارة وفى النية وأمثالها من الامور الضرورية فاذا صـــح مرض العقول فى الضروريات بسبب التعنت والغلو فى تحصيل الحاصل فكيف اذا وقع هذا السبب فى محارات العقول ودقائق الكلام وتوهم المبتلى بالوسوسة أنه لاطريق له الى معرفة الله تعالى الا تلك الدقائق الخفية » (١) .

وما جاءت بدع العقيدة الا من الفاسفة وعلم الكلام فما نفت الجهمية رؤية الله تعالى فى الآخرة الا لأنها تقتضى معاينة ومقابلة وقالوا بخلق القرآن لأنهم قرروا ان قيام الحوادث بالله تعالى ممتنع ونفوا علو الله تعالى لأن ذلك يقتضى مباينة وجهة وكل ذلك من صفات الأجســـام ، فهم نفوا بمحض عقولهم وآرائهم ما أثبته الله لنفسه وما اثبته له رسوله .

قال نعيم بن حماد : حق على كل مؤمن ان يؤمن بكل ما وصف الله به نفسه وترك التفكر بالرب تبارك وتعالى ويتبع حديث النبى صلى اللـــه عليـــه وسلم فانه قال : تفكروا فى الخلق

---

(١) المرجع السابق ص ١٣

ولا تتفكروا فى الخـــالق (١) » قـــال نعيم : ليس كمثله شىء ولا يشبهه شىء من الأشياء » (٢) .

وساق الأصبهانى بسنده قول الامام أبى يوسف القاضى : ليس التوحيد بالقياس الم تسمع الى قول الله عز وجل فى الآيات التى يصف بها نفسه انه عالم قادر قوى مالك ولم يقل انى قادر عالم لعلة كذا أقدر لعلة كذا ولعلة كذا أعلم وبهذا المعنى اعلم فلذلك لايجوز القيـــاس فى التوحيـــد ولا يعـــرف الا بأسمائه ولا يوصف الا بصفاته وقد قال الله عز وجل فى كتابه (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقال (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهـــار والفلك التى تجـــرى فى البحر .. الى قـــوله تعـــالى يعقلون قال أبو يوسف : لم يقل الله انظر كيف انا العالم وكيف أنا القادر وكيف أنا الخالق ولكن قال انظر كيف خلقت ، ثم قال : « خلقكم ثم يتوفاكم وقـــال (وفى أنفســـــكم افلا تبصرون) أى تعلم ان هذه الاشياء لها رب يقلبها ويبدؤها ويعيدها » (٣)

وقال عبد الرحمن بن مهدى وذكر عنـــده أن الجهمية ينفون أحاديث الصفات ويقولون : الله أعظم من أن يوصف بشىء من

---

(١) أورده الســـيوطى فى الجامـــع ورمز لضـــعفه وعزاه لأبى الشـــيخ فى « العظمة » والطبرانى فى الأوسط وابن عدى فى الكامل والبيهقى ، ونقل المناوى قول السخاوى فيه : هذه الأحاديث أسانيدها كلها ضعيفة لكن اجتماعها يكسب قوة » فيض القدير ٢٦٤/٣ — وحسنه الألبانى فى الجامع الصغير برقم ٢٩٧٢ ، أنظر كشف الخفا للعجلونى ٣١١/١ ، والأسماء والصفات للبيهقى ص ٢٩٩ ، وقد حسن هذا الحديث الحافظ ابن كثير فى رســـالته العقائد » كما أشار الى تضعيفه الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير بزيادة « فتهلكوا » ٢٤٧.

(٢) شرح أصول السنن للالكائى ق ٢/٢٠ .

(٣) الحجة فى بيان المحجة ق ١٠ .

هذا فقال عبد الرحمن : قد هلك قوم من وجد التعظيم فقالوا : « الله اعظم من ان ينزل كتابا او يرسل رسولا ثم قرأ : (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء) ثم قال : هل هلكت المجوس الا من جهة التعظيم فقالوا : الله اعظم من ان نعبده ولكن نعبد من هو اقرب اليه منا فعبدوا الشمس وسجدوا لها فانزل الله عز وجل (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) . وقال حماد بن سلمة : من رايتموه ينكر هذه الأحاديث فاتهموه على الدين » (١) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ان علينا ان نؤمن بما قاله الله ورسوله ، فكل ما ثبت ان الرسول صلى الله عليه وسلم قاله فعلينا ان نصدق به وان لم نفهم معناه لأنا قد علمنا انه من الصادق المصدوق الذى لا يقول على الله الا الحق وما تنازع فيه الأمة من الالفاظ المجملة كلفظ ــ المتحيز والجهة والجسم والجوهم والعرض ــ وامثال ذلك فليس على احد أن يقبل مسمى اسم من هذه الأسماء لا فى النفى ولا فى الاثبات حتى يتبين له معناه فان كان المتكلم بذلك أراد معنى صحيحا موافقا لقول المعصوم كان ما أراده حقا وان كان أراد به معنى مخالفا لقول المعصوم كان ما أراده باطلا » (٢) .

٢ ــ انها تجعل موقف المسلم موقف المعظم لنصوص الكتاب والسنة لأنه يعلم أن كل ما فيهما حق وصواب وفى ذلك منجاة كبرى ومزية عظمى لانها تعصم المسلم من رد معانى نصوص

---

(١) الحجة فى بيان المحجة ق ٧٢ .
(٢) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول لشيخ الاسلام ابن تيمية ١/٦٨١

الكتاب والسنة أو التلاعب فى تفسيرها بما يوافق الهوى ويلائم القصد ، وان المتتبع لكتب الفرق يجد الأمثلة الكثيرة على ذلك ومن ذلك قول المعتزلة فى تفسير قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » فقالوا : انها منتظرة الثواب وقد دفعهم الى هذا التفسير قولهم بعدم رؤية المؤمنين ربهم فى الآخرة . ومن ذلك أيضا تفسيرهم لقوله تعالى : «وكلم الله موسى تكليما» أى جرحه بأظافر الحكمة(١)وقد قادهم الى هذا الضلال اعتقادهم ان القرآن مخلوق وان الله لا يتكلم .

وكذلك تفسير الجهمية لقوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » بابستولى ، وقد الجأ هم الى هذا الكذب اعتقادهم ان الله تعالى فى كل مكان ، وان العلو ليس صفة لله تعالى ، وغير ذلك من شطط التفسير ومردود التأويل .

كما ينبغي أن نلاحظ ان الغلو فى التأويل يفقد النصوص هيبتها سيما عند مايكون هذا التأويل لا يعتمد على نص شرعى صحيح أو لم يقل به أحد من علماء السلف . والاسراف فى التأويل يتنافى مع كون الاسلام دينا عمليا يتمشى مع كل زمان ويتنافى مع وصف الله تعالى للقرآن بأنه بيان وتبيان لكل شيء وانه ميسر للذكر وان آياته مطلوب تدبرها والتفكر فيها . ولذلك فقد قال أبو القاسم ابن مندة فى كتابه : (٢) « الرد على الجهمية» التأويل عند أصحاب الحديث نوع من التكذيب .

٣ — انها تربط المسلم بالسلف العظيم فتزيده عزة وافتخارا

---

(١) انظر تفسير الكشاف للزمخشرى ٥٩١/١ .
(٢) ص ٤٠٦ من كتاب ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلى

كيف لا وهى تجعله يسير على خطى الصحابة ومن جاء بعدهم من السلف الذين هم سادة الأولياء وائمة الاتقياء ، وما كانوا عليه هو الدين الذى لاجدال فيه ، كل ذلك يزيد المسلم بصيرة فى دينه فهو متأكد انه يسير فى ظلال الفرقة الناجية التى وصفها النبى صلى الله وسلم فى حديث .

« افتراق الأمة » وفيه : وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة قالوا : ما هى يا رسول الله قال : من كان على مثل ما انا عليه اليوم وأصحابى » (١) .

ولا يستطيع أحد ان ينفى هذا الوصف عن سلف هذه الأمة أو يدعى انهم كانوا على غير بينه فى دينهم لأن فى ذلك ردا ضمنيا لوصف الله تعالى لهم بقوله : « كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ولا شك ان من كان على طريقتهم ممن جاء بعدهم هم أهل الحق وهم الفرقة الناجية ، وهذا ما قرره المحققون من أهل العلم ، قال الامام على بن المدينى : « ان الطائفة الناجية هم أهل الحديث » (٢) وقال يزيد بن هارون فى بيان الفرقة النّاجية : ان لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدرى من هم » وقال عبد الله بن

---

(١) رواه ابو داود ٤٥٩٦ ، وابن ماجة ٣٩٩١ ، والحاكم وقال على شرط مسلم ولم يخرجاه وقال هذه أسانيد تقام بها الحجة » المستدرك ١٢٩/١ . كلهم من طريق محمد بن عمرو عن ابى ساعة عن ابى هريرة ومحمد بن عمرو علقمة صدوق له اوهام . ورواه الاجرى فى الشريعة ص ١٥ و أحمد فى المسند ١٠٢/٤ من حديث معاوية وفى اسناده الازهر بن عبد الله صدوق فيه نصب .. انظر التقريب ص ٣٦ .

اما زيادة « من كان على مثل ما انا عليه اليوم .. » فهى عند الترمذى والاجرى والحاكم ، وقد تفرد بها عبد الرحمن بن زياد الافريقى فقال الحافظ ضعيف من قبل حفظه » تقريب ص ٢٠٢ .

(٢) انظر تحفه الاحوذى ٤٣٣/٦ .

المبارك : فى حديث : لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » قال : « هم عندى أصحاب الحديث » وقال الامام أحمد بن حنبل لما سئل عن معنى الحديث السابق : ان لم تكن هـذه الطائفـة المنصـورة أصـحاب الحديث فلا أدرى من هم » (١) .

وكذلك قال الحافظ الثقة أحمـد بن سنان ، وامام المحدثين محمد بن اسماعيل البخارى وعشرات غيرهم .

وقال أبو القاسم اسماعيل بن محمد الأصفهانى مشيدا بأهل الحديث : ان كل فريق من المتبدعة انما يدعى ان الذى يعتقده هو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كلهم مدعون شريعة الاسلام ملتزمون فى الظاهر شعائرها يرون ان ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق غير ان الطرق تفرقت بهم بعد ذلك واحدثوا فى الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فزعم كل فريق أنه هو المتمسك بشريعة الاسلام وان الحق الذى قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يعتقده وينتحله غير ان الله أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة الا مع أهل الحديث والاثار لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفا عن سلف وقرنا عن قرن الى أن انتهوا الى التابعين واخذه التابعون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم ولا طريق الى معرفة ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليهوسلم

---

(١) رواه الحاكم فى الحديث باسناد صحيح كما قال الحافظ ابن حجر ، وكذلك قول يزيد بن هارون « المرجع السابق ٤٣٤/٦ . وقال القاضى : انما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث » المرجـع السابق ٤٣٤/٦ .

الناس من الدين المستقيم والصراط القويم الا هذا الطريق الذى سلكه أصحاب الحديث واما سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه لانهم رجعوا الى معقولهم وخواطرهم وارائهم فطلبوا الدين من قبله واذا سمعوا شيئا من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم فان استقام قبلوه وان لم يستقم فى ميزان عقولهم ردوه فان اضطروا الى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة والمعانى المستكرهة فحادوا عن الحق وزاغوا عنه ونبذوا الدين وراء ظهورهم وجعلوا السنة تحت أقدامهم تعالى الله عما يصفون. وأما اهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة أمامهم وطلبوا الدين من قبلهما وماوقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة فان وجدوه موافقا لهما قبلوه وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووقفهم عليه وان وجدوه مخالفا لهما تركوا ما وقع لهم واقبلوا على الكتاب والسنة وارجعوا التهمة على أنفسهم » (١) وقال أيضا : واذا رايت الرجل يسمى أصحاب الحديث حشوية أو مشبهة أو ناصبة فاعلم انه مبتدع واذا رايت الرجل ينفى صفات الله أو يشبهها بصفات المخلوقين فاعلم انه ضال قال علماء أهل السنة فليس فى الدنيا مبتدع الا وقد نزع حلاوة الحديث من قلبه » (٢).

وقال الخطيب البغدادى فى مقدمة كتابه « شرف أصحاب الحديث » : وقد جعل الله أهله أركان الشريعة وهدم بهم كل بدعة شنيعة فهم أمناء الله فى خليقته والواسطة بين النبى صلى الله عليه وسلم وامته والمجتهدون فى حفظ ملته ، انوارهم زاهرة وفضائلهم سائرة وآياتهم باهرة ومذاهبهم ظاهرة وحججهم قاهرة وكل فئة تتحيز الى هوى ترجع اليه وتستحسن رأيا تعكف

---

(١) « الحجة فى بيان المحجة » ق ١/١٦٤ .
(٢) المرجع السابق ق ١/٢٦٦ .

عليه سوى أصحاب الحديث فان الكتاب عدتهم والسنة حجتهم والرسول فئتهم واليه نسبتهم لا يعرجون على الأهواء ولا يلتفتون الى الآراء » .

وقال الشـــيخ عبد القادر الجيلانى فى كتابه « الغنية » : أما الفرقة الناجية فهى أهل السنة والجماعة وأهل السنة لا اسم لهم الا اسم واحد وهو أصحاب الحديث » (١) .

٤ ــ ان القــرآن الكريم قد نبه الى ضرورة الالتزام بما كان عليه المســلمون السابقون وحذر من اتبــاع غير ذلك قال الله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنون نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » وسورة الفاتحة التىامرنا بتلاوتها فى الصلاة فيها قول الله تعالى « اهدنا الصراط المســتقيم » وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء والصــالحين وحسن أولئك رفيقا » ولاشك ان هذه الصفات تنطبق أصالة على سلف هذه الأمة وتعبر عن صفاتهم .

٥ ــ انها تحقق للمسلمين الوصف الذى رضــيه الله تعالى لهم حيث وصفهم بقوله « ويســلموا تســليما » فدور العقل فى العقيدة السلفية هو دور الرضا والاطمئنان والتقدير لعظمة الله تعالى والتفكر فى مخلوقاته العظيمــة المبثوثة فى هــذا الكــون

---

(١) الغنية ص ٨٠ .

وقال النووى رحمــة الله تعالى : ويحتمل ان هذه الطائفة ــ الناجيــة ــ متفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهــاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد ، آمــرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين فى أقطار الارض » تحفة الاحوذى للعلامة المباركفورى ٦/٤٢٤ .

الفسيح . والتأمل بما أودع الله فيه من الآيات ونصب فيه من العبر :

وفى كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وليس معنى هذا القاء العقل جانبا كما هو فى المفهوم الكنسى ، لأن البحث العقلى ليس مذموما على الاطلاق بل يذم اذا اكتفى به عن الأدلة الشرعية أو قدم عليها أو عورض به نصوص الدين . كما انه لا دخل للعقل فى مجال الغيب — السمعيات — من أمور العقيدة ، أما ابحاث العقيدة التى يستدل بها على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وحكمته والبعث والجزاء ، فقد طالب القرآن العقل البشرى أن يهتدى اليها فهى أدلة تدعم النصوص وتزيد فى تثبيت الاعتقاد ولهذا يجد المتأمل فى كتاب الله تعالى الآيات الكثيرات التى تحث العقل البشرى على التأمل والتفكر والتبصر والتدبر .

ان فتح المجال امام العقل البشرى لينطلق فى مجالات الكون فيذلل الصعاب ويرشد الانسان الى طرق الحضارة مما يعود على البشرية بالخير العميم ، ان سير العقل فى هذا الاتجاه أمر حسن وجميل بل هو طريقه الطبيعى ومساره الاعتيادى ، اما ان يسمح للعقل ان يتدخل فى مجالات الغيب ويلاقى منا كل تشجيع واستحسان فهذا خطأ فادح وحماقة كبرى ترتكب فى حق حاضر الانسان ومستقبله واهانة صريحة للعقل بتوريطه بالانزلاق فى مسارب لا دخل له بها بل هى بعيدة جدا عن مطلبه ومحال أمام تصوره .

لقد ابتدا المعتزلة هذه المهزلة فانا طوا العقل البشرى آمالهم

بعد أن أسندوا اليه مهمة الكشف فى عالم الغيب وملكوت الآخرة ، وتدخل العقل باحثا فى خصائص اليوم الآخر فأثبت ما أراد ونفى ماشاء واعتدى على مقام الألوهية العظيم فتناول صفات الله تعالى بالتبديل والتحوير والطمس والتزوير منتهكا حرمة النصوص غير مبال ولا ملتفت لأى وعيد أو عقاب فتناقض أيما تناقض ونفى عن الذات الالهية صفات أثبتها الله لنفسه ، زعم أنها أوصاف للأجسام ونعوت للمخلوقات .

ان العقل البشرى قاصر كل القصور فى عالم الغيب ونتائجه وتوقعاته كلها تخرصات سكرى وظنون بلهاء وقد بنيت النصوص النبوية المباركة عدم الركون الى هذه الأوهام بعبارات وجيزة فقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى ذاته فتهلكوا » .

ان العقل اذا لم ينطلق من وحى النصوص المعصومة فانه سرعان ما يخطىء ، ولما كان من مهام العقيدة تنظيم سلوك الانسان فان نتائجه آنذاك تكون خطيرة وتسبب اختلافا بين الناس ، وهل يتعارض الناس ويختلفون فى أمور الدين الا بسبب استخدام عقولهم بمعزل عن نصوص الكتاب والسنة .

ان العقل مخلوق من مخلوقات الله تعالى شأنه كشأنها له قدراته المحدودة وخصائصه الثابتة فهل يطلب من العين أن تبصر ما يبعد عنها آلاف الأميال ؟ وهل يطلب من الأذن أن تسمع ما يدور بين الطيور من مناجاة ؟ وهل يطلب من اليد أن تحمل جبلا ومن القدم أن تزعزع بركلة منها ناطحة سحاب او غير ذلك من الأمور المغرقة فى المحال ، وكذلك الشأن نفسه بالنسبة للعقل

البشرى عندما يتعرض لمسائل الغيب فيثبت وينفى نعم انه يباح للعقل ان يتعرف على المخلوقات لأنه مخلوق مثلها أما أن يتطاول هذا المخلوق المغرور ليتدخل فى مهام الخالق العظيم وينصب نفسه الحكم العدل الذى لا يرجع عن حكمه ولا يعترض على قراره فتلك بلية البلايا وأعجوبة الأساطير فهل يقع الانسان فى ضلال أبعد من هذا الضلال ؟ وصدق الله اذ يقول : (ومن أظلم ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) .

ورحم الله احد علماء السلف حيث يقول : انما اعطينا العقل لاقامة العبودية لا لادراك الربوبية فمن شغل ما أعطى لاقامة العبودية بادراك الربوبية فاتته العبودية ولم يدرك الربوبية » (١)

ورحم الله محمد بن الحنفية فقد قال : لا تقوم الساعة حتى تكون خصومة الناس فى ربهم » (٢) .

وقال حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما :

ما اجتمع رجلان يختصمان فى الدين فافترقا حتى يفتريا على الله عز وجل » (٣) .

وقال الشهرستانى : واصل كل بلية فى العالم من معارضة النص بالرأى وتقديم الهوى على الشرع » (٤) .

---

(١) الحجة فى بيان المحجة للاصبهانى ق ٣٣ .
(٢) هذا الاثر ورد مرفوعا من حديث ابى هريرة رضى الله عنه وعزاه السيوطى للديلمى كما فى الدر المنثور ٩٤١/٥ . وسئل عنه الامام الدارقطنى فرجح انه من كلام ابن الحنفية ولا يعتبر مرفوعا » العلل للدارقطنى ق (١/٤٧٧)
(٣) رواه ابن بطة فى الابانة الكبرى (ق ٢/١٧٤) .
(٤) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢٣١/١ .

٦ ــ أنها توحد صفوف المسلمين وتجمع كلمتهم لأنها عقيدة الكتاب والسنة فهى تحقيق عملى ومناداة صريحة لقول الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » . هذا بخلاف الدعوة الى عقائد الفرق الأخرى التى تفرق ولا تجمع ويختلف المسلمون عليها ولا يتفقون .

٧ ــ كما تنفرد هذه العقيدة بأن فيها التمسك بسنة النبى صلى الله عليه وسلم كاملة ، وعدم رد أى شىء منها وعدم تفريقها وردها لكلامه صلى الله عليه وسلم تحت دعوى التقسيمات المحدثة للسنة من متواتر وأحاد وغير ذلك من التقسيمات والتسميات التى لم تكن معروفة فى عصر الصحابة والتابعين ، وان الأخذ بالسنة كاملة هو تحقيق صادق لقول النبى صلى الله عليه وسلم (١) : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به فلن تضلوا ابدا كتاب الله وسنتى » ولقوله صلى الله عليه وسلم فى الموعظة التى وصفها الصحابة بأنها ــ موعظة مودع ــ « فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ » (٢) .

أنها تجنب المسلم الهلكة بتركه الخوض فى مسائل العقيدة ومناقشة الخصوم وأهل البدع والزيغ فهى تبتعد بالمسلم حقا عن التفكير فى ذات الله تعالى ، فهى سهلة ميسرة بعيدة عن التعقيد والالغاز ، لأن معالجة السلف للقضايا تتسم بالبساطة واليسر ولذا فان كل محاولة للرجوع الى الفطرة أو الاقتراب منها هى

---

(١) رواه الحاكم من حديث أبى هريرة وصححه الالبانى فى الجامع الصغير برقم ٢٩٣٤ .

(٢) رواه ابو داود ٤٦٠٧ والترمذى ٢٨١٥ وابن ماجة رقم ٤٣ وأحمد ١٢٦/٤ والدارمى ٤٤/١ كلهم من حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه .

فى الحقيقة اغتراب من الدين وكل محـــاولة للابتعاد عن الفطرة والوضوح هى ابتعاد عن الدين .

ان مذهب السلف فى صفات الله تعالى واضح كل الوضوح فيه من اليسر والسهولة مايزيده اشراقا وجمالا فهم يؤمنون بكل ماوصف الله به نفسه ووصفه به رسوله حقيقة لا مجازا على الوجه اللائق بكمال الله وجلالة لانه لا يصف الله تعالى أعلم به منه ولا يصف الله من هو أعلم به من رسوله والله يقول عن نفسه (أأنتم أعلم أم الله) ويقول عن رسوله (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) فكل ماجاء به القرآن حق لأنه من عند الله تعالى والله تعالى يقول : (وقل الحق من ربكم) .

وقالى تعالى : (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميـــد) وقالى تعالى : (أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحـــق كمن هو أعمي) .

ويقول العلامة الصنعانى فى ذلك :

الأصل الأول : انه قد علم من ضرورة الدين : ان كل ما فى القـــرآن فهو حق لا باطل ، وصـــــدق لا كذب ، وهدى لا ضـــلالة ، وعلم لا جهـــالة ، ويقين لا شك فيه . فهذا الأصل اصل لا يتم اسلام أحد ولا ايمانه الا بالاقرار به ، وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه » (١) .

وهل فسدت الأديان وحرفت الشرائع وضل كثير من الناس

---

(١) تطهير الاعتقاد عن ادران الالحاد ـ للصنعانى ص ٥ .

الا بسبب الابتداع فى الدين سواء اكان ذلك بالزيادة عليه او النقصان منه ومن سلك غير النهج السلفى فى اعتقاده فانه واقع فيما ذكرناه . ومثال ذلك : ان الذين لم يسلكوا طريقة السلف أثبتوا لله صفات من عند انفسهم لم يصف الله بها نفسه ولم يصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء كما ترى قد زادوا فى دين الله . كما انهم عمدوا الى صفات وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله فردوها عن طريق التأويل وهذا هو النقصان. ولذلك فقد قال العلامة ابن الوزير فى هذا الصدد :

فاعلم أن منشأ معظم البدع يرجع الى أمرين واضح بطلانهما فتأمل ذلك بانصاف وشد عليه يديك وهذان الأمران البساطلان هما : الزيادة فى الدين باثبات ما لم يذكره الله تعالى ورسله عليهم السلام من مهمات الدين الواجبة . والنقص منه بنفى بعض ما ذكره الله تعالى ورسله من ذلك بالتأويل الباطل » (١) .

وكل ما ثبت فى السنة حق « وشرع » لنا وما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم الا لنؤمن به .

وطريقة السلف فى اثبات صفات الله تعالى بنوها على أسس منها :

١ ـ تنزيه الله سبحانه وتعالى عن مشابهة جميع المخلوقات لقول الله تعالى « ليس كمثله شىء » .

٢ ـ اليأس من ادراك كيفية هذه الصفات لقول الله تعالى : «ولا يحيطون به علما » .

---

(١) ايثار الحق على الخلق ص ٨٦ .

وقد نهانا النبى صلى الله عليه وسلم عن التفكير فى ذات الله تعالى لأن ذلك يؤدى الى الهلكة ، والقول فى الصفات هو كالقول فى الذات لأنهما من باب واحد فهما من الغيب الذى لا نستطيع ادراكه او الوقوف على حقيقته او كنهه لأن ذلك من باب الغيب ، المحظور علينا والكيف المجهول عنا وهذا ما عنته ام سلمة رضى الله عنها فى الاستواء بقولها : الاستواء معلوم والكيف مجهول (١) ، فمذهب السلف الصالح اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل ، وقد بين شيخ الاسلام ابن تيمية هذا بأصلين :

الأول : ان يقال القول فى بعض الصفات كالقول فى بعض فان كان المخاطب ممن يقول بأن الله حى بحياة عليم بعلم قدير بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام ويجعل ذلك حقيقة وينازع فى محبته ورضاه وغضبه وكراهيته فيجعل ذلك مجازا او يفسره بالارادة واما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات ، فيقال له لا فرق بين ماتفيته وبين ما اثبته بل القول فى احدهما كالقول فى الآخر .

وقد شاع لدى بعض الباحثين قديما وحديثا أن مذهب السلف هو التفويض وليس الاثبات ؛ ونرد على هذه الدعوى بأمور :

أولا : الآيات القرآنية التى تضمنت هذه الصفات الكريمة لله تعالى من الاستواء والمجىء والرضا والغضب والمحبة و .. ... الخ .. فان لم يكن المراد منها اثبات هذه الصفات كما

---

(١) سياتى كخريجه .

يليق بجلالة اللـــه تعالى وعظمته فما هو المقصود منها اذا ؟.

ثم ان الاحاديث النبوية الكثيرة فى الصفات ومطابقتها للآيات الكريمات واستنطاق النبى صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة وسؤاله لهم عن هذه الصفات لله جل وعلا يدلل ان المقصـــــود منها الاثبات لاغير والاحاديث كثيرة جدا فى هذا الصدد منها :

(أ) قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا تأمنونى وأنا امـــين من فى السماء » (١) .

(ب) قوله صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » (٢) .

(جـ) قوله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها » (٣) .

(د) حديث « احتج آدم وموسى وفيه : فقال له موسى : انت آدم الذى خلقك الله بيده » (٤) .

(هـ) حديث أنى فى الشفاعة وفيه : « فيأتون آدم فيقولـــون له أنت آدم ابو البشر خلقك الله بيده واسجد لك الملائكة » (٥) .

---

(١) رواه الامام أحمد ٤/٣ والبخارى ٤٣٥١ ومسلم فى باب الزكاة ١٤٤ من حديث أبى سعيد الخدرى .
(٢) ورواه ابو داود من برقم ٤٩٤١ والترمذى رقم ١٩٨٩ وقال حسن صحيح والبيهقى فى الاسماء والصفات ص ٣٠٠ .
(٣) رواه مسلم من حديث ابى هريرة باب النكاح ١٢١ .
(٤) رواه أحمد من حديث أبى هريرة ٣٩٢/٢ .
(٥) رواه البخارى ٧٥١٥ ومسلم باب الايمان ٣٢٢ .

(و) حديث : « لما قضى الله الخلق كتب كتابا عنده سبقت رحمتى غضبى فهو عنده فوق العرش » (١) .

ثانيا : الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من علماء السلف ، التى تدل على أن مذهبهم انما هو اثبات الصفات لله سبحانه وتعالى فقد أخرج الامام اللالكائى فى كتابه العظيم « شرح أصول السنة » قول ام سلمة رضى الله عنها فى قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » .. فقالت الاستواء غير مجهول والكيف غير معلوم والاقرار به ايمان والجحود به كفر » (٢) .

وقالت عائشة رضى الله عنها « وأيم الله انى لأخشى لو كنت أحب قتله ــ لقتلت ــ يعنى عثمان ولكن علم الله من فوق عرشه انى لم أحب قتله » (٣) .

وأخرج الدارمى بسنده ان امراة لقيت عمر بن الخطاب فاستوقفته القصة .. وفيها فقال عمر : ويلك أتدرى من هذه قال لا .. قال : هذه امراة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة (٤) .

وقال ابن عبد البرفى « الاستيعاب » : روينا من وجوه صحاح

---

(١) رواه البخارى من حديث أبى هريرة ٧٥٥٤ ومسلم باب التوبة ١٤ .
(٢) ق ٩٢/أ ، وقد قام بتحقيقه اخونا الفاضل الدكتور احمد سعد حمدان .
(٣)
(٤) عزاة السيوطى فى الدر المنثور الى تفسير ابن أبى حاتم والبيهقى فى الاسماء والصفات ١٧٩/٩٣ انظر كتاب (اجتماع الجيوش الاسلامية) لابن القيم ص ٣٩ والاسماء والصفات للبيهقى ص ٢٩٦ .

أن عبد الله بن رواحة مشى الى أمـــرأة له فنالها فرأته امـــرأته فلامته فجحدها فقالت : ان كنت صادقا فاقرأ القـــرآن فـــان الجنب لا يقرأ القرآن ، فقال :

شهدت بأن وعد الله حق
وان النـــار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف
وفـــوق العـــرش رب العالمينـــا (١)

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصـــين قبـــل ان يسلم ، كم الهـــاً تعبد اليوم ؟.. قال سبعة ، ســـتة فى الارض وواحد فى السماء ، فقال : فاذا اصابك الضرر فمـــن تدعوا ؟.. قال : الذى فى السماء » (٢) .

وكانت زينب ام المؤمنين رضى الله عنها تفتخر على ســـائر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وتقول : زوجكن أهـــاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات » (٣) .

ودخل ابن عباس على عائشة رضى الله عنها وهى تمـــوت فقال لها : كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يحب الا طيباً وانزل الله براءتك من فـــوق سبع ســـماوات » (٤) .

---

(١) المرجع السابق ص ٤٠ .
(٢) رواه البيهقى فى الاسماء والصفات ص ٣٠٠ .
(٣) رواه البخارى ٧٤٢٠ والبيهقى فى الاسماء والصفات ص ٢٩٦ .
(٤) ص ٢٧٥ الرد على الجهمية . للدارمى واحمد فى المسند ٢٧٦/١ .

وقال عبد الرحمن بن القاسم : « لا ينبغى لأحداً أن يصف الله الا بما وصف به نفسه فى القرآن ولا يشبه يديه بشيء ولا وجهه بشيء ولكن يقول : له يدان كما وصف نفسه فى القرآن وله وجهه كما وصف نفسه ، يقف عندما ما وصف به نفسه فى الكتاب فانه تبارك وتعالى لامثيل له ولا شبيه ولكن هو الله لا الـه الا هو » (١) .

وقال الأوزاعى امام اهل الشام فى زمنه : « كنا والتابعون متوافرون نقول : ان الله على عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته » (٢) .

واخرج البيهقى بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال : كنت عند مالك فدخل رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن : « الرحمن على العرش استوى » كيف استوى ؟ فأطرق مالك فأخذته الرحضاء ثم رفع راسه فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع وما أراك الا صاحب بدعة فأخرجوه » (٣) .

ثالثا : ما نقله كثير ممن صنف فى العقائد من المتقدمين ان مذهب السلف هو الاثبات ، فقد اخرج البيهقى من طريق أبى داود الطيالسى قال : كان سفيان الثورى وشعبة وحماد بن زيد

---

(١) (ق٢/٢) رسالة فى الاعتقاد لمحمد بن أبى زمنين المعروف بابن أبى زمنين الامام المالكى . وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثقة جليل قال ابن عيينة : كان افضل اهل زمانه توفى سنة ست وعشرين ومائة » انظر تقريب التهذيب لابن حجر ص ٢٠٨ .

(٢) فتح البارى لابن حجر ٤٠٦/١٣ وصحح هذه الرواية الذهبى فى (تذكرة الحفاظ) ص ١٨١ وكذا ابن القيم فقد قال : روى البيهقى باسناد صحيح الى الاوزاعى قال كنا والتابعون .. » اجتماع الجيوش ص ٤٣ .

(٣) فتح البارى ٤٠٧/١٣ وشرح أصول السنة للالكائى (ق ٩٢ — ب) .

وحماد بن سلمة وشريك وابو عوانة : لايحددون ولا يشبهون ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون كيف ، قال ابو داود : وهو قولنا ، وقال البيهقى : وعلى هذا مضى اكابرنا (١) .

وقال الترمذى فى سننه عقب روايته لحديث النزول : وهو على العرش كما وصف به نفسه فى كتابه كذا قال غير واحد من أهل العلم فى هذا الحديث وما يشبهه من الصفات » (٢) .

وقال الترمذى : باب ماجاء فى فضل الصدقة « ثم روى حديث ابى هريرة مرفوعا :

ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة تربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى احدكم فلوه او فصيله » ثم قال : وقد قال غير واحد من اهل العلم فى هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات فى الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا ، قالوا : تثبت الروايات فى هذا ويؤمن بها ولايتوهم ولا يقال كيف ؟ هكذا روى عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك انهم قالوا فى هذه الأحاديث : امروها بلا كيف . وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ، واما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا : هذا تشبيه ، وقد ذكر الله عز وجل فى غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر اهل العلم وقالوا : ان الله لم يخلق آدم بيده وقالوا : ان معنى اليد هاهنا

---

(١) فتح البارى ٤٠٧/١٣ .
(٢) عون المعبود ٤٢/١٣ .

القوة . وقال اسحاق بن ابراهيم (راهويه) انما يكون التشبيه اذا قال يد كيد أو مثل يد ، أو سمع كسمع أو مثل سمع فاذا قال : سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه . واما اذا قال ، كما قال الله تعالى : يد وسمع وبصر ولا يقول كيف ، ولا يقول مثل سمع لا كسمع فهذا لا يكون تشبيها وهو كما قال الله تعالى فى كتابه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (١) .

وقد ذكر الدكتور العتر هذا الحديث مثالا لمختلف الحديث ويقصد به كما هى عبارته : ما تعارض ظاهره مع القواعد فأوهم معنى باطلا أو تعارض مع نص شرعى آخر ، ثم قال (٢) : والحديث مشكل لأنه يجعل لله يدا وذلك تشبيه وتجسيم معارض للأدلة القاطعة بتنزيه الله عن ذلك ، وقد أزالى الترمذى الاشكال وحقق المسألة فتعرض لمسألة المتشابهات وأبان الحق فيها ثم نقل كلام الترمذى السابق فى التعليق على هذا الحديث .

وبذلك يكون الدكتور قد نقل ما ينقض كلامه السابق من أساسه لأن الترمذى اعتبر ان الايمان بهذه الصفة لله تعالى بلا كيف هو قول اهل العلم وليس تشبيها ، أما الذين قالوا أن ذلك تشبيها انما هم الجهمية ومن ثم فانها فسروا اليد هنا بالقوة ، فالدكتور قد اعتبر هذا الحديث مشكلا لأنه يجعل لله يدا ورتب على هذا ان من يجعل لله يدا يكون مشبها ومجسما ، كما انه أوهم القراء ان كلام الترمذى موافق لما ذكره ، وكذلك اختياره هذا الحديث مثالا لما تعارض ظاهره مع القواعد . كل

---

(١) سنن الترمذى ٤١/٣ .
(٢) كتاب الامام الترمذى والموازنة بين جامعة والصحيحين للدكتور نور الدين العتر ص ٢٢٤ وهو كتاب مفيد .

هذه الأمور يجد المتأمل الرد عليها بسهولة فى كلام الترمذى السابق الذى نقله الدكتور العتر سامحه الله تعالى .

وقال الامام ابو حنيفة فى الفقه الأكبر : « وما ذكر الله تعالى فى القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال ان يده قدرته ونعمته لأن فيه ابطال الصفة وهذا قول أهل القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف » (١) وقال الامام الدارمى فى مقدمة كتابه « الرد على الجهمية » وله الأسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، يقبض ويبسط ويتكلم ويرضى ويسخط ويغضب ويحب ويبغض ويكره ويضحك ويأمر وينهى ذو الوجه الكريم والسمع السميع والبصر والبصير والكلام المبين واليدين والقبضتين والقدرة والسلطان والعظمة والعلم الأزلى لم يزل كذلك ولايزال .. استوى على عرشه فبان من خلقه لا تخفى عليه منهم خافية علمه بهم محيط وبصره فيهم نافذ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » (٢) وقال أيضا بعد ان ساق الآيات والاحاديث فى اثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى : فمن آمن بهذا القرآن الذى احتججنا منه بهذه الآيات وصدق هذا الرسول الذى روينا عنه هذه الروايات لزمه الاقرار بأن الله بكماله فوق عرشه فوق سماواته والا فليحتمل قرآنا غير هذا فانه غير مؤمن بهذا » (٣) .

وقال أبو العالية :«استوى الى السماء» ارتفع وقال مجاهد :

---

(١) ص ٢ طبع حيدر اباد فى الهند .
(٢) الرد على الجهمية للدارمى ص ٢٥٥ .
(٣) « « « ص ٢٨٢ .

استوى علا ، ونقل محيى السنة البغوى فى تفسيره عن ابن عباس واكثر المفسرين ان معناها ارتفع » (١) .

وقال حماد بن زيد : انما يحاولوا ان يقولوا ليس فى السماء شىء » (٢) .

وقيل ليزيد بن هارون : من الجهمية ؟ فقال : من زعم ان الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر فى قلوب العامة فهو جهمى » (٣) .

وقال عباد بن العوام : « كلمت بشرا المريسى واصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهى ان يقولوا : ليس فى السماء شىء » (٤)

وقيل لعبد الله بن المبارك : كيف نعرف ربنا ؟ قال : بأنه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه » (٥) .

واخرج الدارقطنى بسنده ان عباد بن العوام قال : قدم علينا شريك بن عبد الله فقلت له : ان عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الاحاديث « ان الله عز وجل ينزل الى سماء الدنيا » و « ان اهل الجنة يرون ربهم » فحدثنى شريك بنحو عشرة

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ٤٠٣/١٣ — ٤٠٦ .
(٢) السنة لعبد الله بن الامام احمد ص ١٠ ورواه ابن ابى حاتم فى كتابه الرد على الجهمية ، كما فى « العلو » للذهبى . ورواه ابن بطة فى ابانته الكبرى (ق ١/٩١٧) .
(٣) السنة لعبد الله بن الامام احمد — ص ١٢ ورواه ابو داود فى مسائل الامام احمد ص ١٩ وابن بطة فى الا بانة (ق ١/١٩٥) .
(٤) السنة لعبد الله بن الامام احمد — ص ٦٣ وذكره الذهبى فى العلو ص ١١٢
(٥) السنة لعبد الله بن الامام احمد — ص ٥ والبخارى فى خلق ،فعاله .

أحاديث فى هذا وقال : « اما نحن فأخذنا ديننا عن أبناء التابعين عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمن أخذوا ؟ » (١) .

وقال عبد العزيز بن الماجشون : « والله مادلهم على عظيم ما وصف من نفسه وما تحيط به قبضته الا صغر نظيرها من عندهم ان ذلك الذى القى فى روعهم » (٢) .

وقال الامام الشافعى : « لله اسماء وصفات لا يسع أحدا ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر واما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل فنثبت هذه الصفات وننفى عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال : ليس كمثله شيء » وقال أيضا « السنة التى أنا عليها ورأيت أصحابنا أهل الحديث الذين رايتهم علينا فأحلف عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الاقرار بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان الله على عرشه فى سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء وان الله ينزل الى سماء الدنيا كيف يشاء » (٣) .

وقال ابن كثير : واما قوله تعالى (ثم استوى على العرش) فللناس فى هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها وانما نسلك فى هذا المقام مذهب السلف لصالح مالك والأوزاعى

---

(١) الصفات للدارقطنى ق ١/٦ .
العباد ص ١٢٠ والدارمى فى رده على بشر المريسى ص ٤٦١ وابن بطة فى الابانة (ق ١/١٩٤) والذهبى فى « العلو » ص ١١٠ .
(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٤٨٢/٥ .
(٣) عون المعبود ٤١/١٣ وص ٤٧ .
وساقه ابن أبى يعلى فى طبقات الحنابلة باسناده المتصل الى الشافعى » ٢٨٣/١ .

والثورى والليث بن سعد والشافعى وأحمد واسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا وهو امرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والظاهر المتبادر الى اذهان المشبهين منفى عن الله فان الله لا يشبهه شيء من خلقه وليس كمثله شيء (وهو السميع البصير) بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى قال : من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن اثبت لله تعالى ماوردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذى يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى » (١) .

رابعا : ان الذين صنفوا فى العقيدة من المتقدمين قد ذكروا الأحاديث والآثار التى تتعلق بالصفات ضمن أبواب فى رسائلهم، حتى ان ابن خزيمة أطلق على كتابه فى ذلك اسم « كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل » وهذه بعض أبواب كتابه :

باب فى اثبات وجه الله ، باب ذكر اثبات العين لله جل وعلا باب ذكر استواء خالقنا العلى الأعلى ، باب صفة تكلم الله بالوحى ، وهكذا فعل كثير ممن صنف فى العقيدة السلفية ، مثل كتاب : « الرد على الجهمية » للدارمى ، وكتاب « الرد على الجهمية » للامام أحمد ابن حنبل ، وكتاب « السنة » لعبد الله بن الامام أحمد بن حنبل ، وكتاب « السنة » لابن أبى عاصم النبيل ، وكتاب « السنة » لأبى بكر الأثرم ، وكتاب « الأربعين فى دلائل التوحيد » للهروى ، وكتاب « شرح أصول السنن »

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢/٢٢٠ .

للالكائى ، وكتاب « الشريعة » للأجرى ، وكتاب الأسماء والصفات » للبيهقى ، وكتاب « الابانة (١) » لأبى الحسن

---

(١)

جزم بعض الباحثين الاشاعرة ان هذا الكتاب ليس هو آخر ماصنفه الاشعرى بل أنه ألفه بعد تحوله عن مذهب المعتزلة مباشرة ، مع أن شيخنا العلامة حماد الانصارى ألف رسالة فى هذا الموضوع اثبت فيها بالبحث العلمى والاستقراء التاريخى وما صرح به المتقدمون من أهل العلم أن كتاب الابانة آخر ما صنفه الاشعرى ، ومع هذا فيكفينا أن نعلم أن الامام الاشعرى قد نص فى أول كتاب الا بانة ان ماذكره هو اعتقاد الامام أحمد بن حنبل رحمة الله تعالى ، فاذا علمنا هذا فلا يهمنا بعد ذلك أن يكون الاشعرى قد صنف هذا الكتاب فى آخر حياته او قبل ذلك »

ويحسن الاشارة الى أن الدكتورة فوقية حسين فى تحقيقها لابانة الاشعرى قد أثبتت بالاسلوب العلمى النزيه ان هذا الكتاب هو آخر ماصنفه هذا الامام ومقدمتها الحافلة لهذا الكتاب مليئة بما يؤكد هذه القضية .

كما ان الدكتور راشد الكردى قد رجح هذا ايضا فى كتابه « علاقة صفات الله تعالى بذاته » (١) .

وقبل ذلك ما ذكره الامام الحافظ ابن عساكر فى كتابه « تبيين كذب المفترى فيما نسب الى أبى الحسن الأشعرى » عندما تناول معتقد الامام الأشعرى فقد استدل على عقيدته بنصوص ذكرها من كتاب الابانة فقط ، وفى ذلك دليل على عقيدة هذا الامام التى استقر عليها هى التى اودعها فى كتابه الابانة فقال (٢) : فلابد أن نحكى عنه معتقدة على وجهه بالأمانة ونجتنب أن نزيد فيه او ننقص منه تركا للخيانة ليعلم حقيقة حاله فى صحة عقيدته فى اصول الديانة فاسمع ماذكره فى أول كتابه الذى سماه بالابانة فانه قال : وذكر نصوصا كثيرة من هذا الكتاب منها قوله : قولنا الذى به نقول وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب الله وسنته هى وما روى عن الصحابة والتابعين وائمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان عليه احمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته واجزل مثوبته قائلون وان خالف قوله مجانبون لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل والذى ابان به الحق عند ظهور الضلال ... ثم سرد اعتقاده ومنه قوله : وانه استوى على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى) وان له وجها كما قال (ويبقى وجه ربك) قال وان له يدا كما قال (بل يداه مبسوطتان) وقال (لما خلقت بيدى) وان له عينا بلا كيف كما قال (تجرى باعيننا) .. » (٣) وذكر مثل هذا فى كتابه « مقالات الاسلاميين » (٤) .

---

(١) صفحة ١٤٢ وانظر مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الاسلام ٤٤٨/١ .
(٢) تبيين كذب المفترى ص ١٥٢ .
(٣) المرجع السابق ص ١٥٨ انظر كتابه الا بانة ص ٨ (٤) ج ٢٢٠/١ .

الأشعرى وكذلك رسالته الى اهل الثغر ، وعشرات الكتب وغيرها ، فكل هذه المصنفات عندما قال :

هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث واهل السنة » . ولقد بداه بذكر طرف من عقيدة أهل السنة ثم ذكر أنهم يقرون بأن الله سبحانه على عرشه » وأن له وجها بلا كيف ، وأنه ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة الى غير ذلك مما عليه سلف هذه الأمة وذكر بجوار كل مسألة ادلتها النقلية من القرآن والسنة . ثم قال :

وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وماتوفيقنا الا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل » (١) .

وبذلك يتبين المنصف معتقد الامام الأشعرى رحمه الله تعالى وان كتابه « الابانة » من احسن مصنفاته واخصرها ويكفى للدلالة على ذلك ما ذكره الامام الأشعرى فى مقدمتها ، والأشعرى ليس سلفيا فى كتابه « الابانة » فحسب ، بل انه سار على هذا الاتجاه فى عدة كتب له منها « مقالات الاسلاميين » و « الرسائل لأهل الثغر » .

والاهتمام ببيان معتقد الامام الأشعرى وما استقر عليه فى آخر امره أمر له اهميته الكبيرة لأن جماهير المسلمين فى بقاع الأرض ينتسبون فى معتقدهم اليه .

ونقل الشيخ ابى زهرة جملة من كلام الأشعرى من « الابانة » ثم علق عليها بقوله : هذه خلاصة قيمة لآراء الأشعرى بعد أن ترك الاعتزال ودان بما تعتقده جماعة الفقهاء والمحدثين ، ونستنبط من هذه الأمور :

---

(١) مقالات الاسلاميين للاشعرى ج ١/٢٢٠ وما بعدها .

تكلمت فى صفات الله سبحانه وتعالى لم تذكر الا ما يدل على اثبات هذه الصفات فحسب وليس فيها ما يدل على خلافة ومع

---

١ — انه يرى أن يأخذ بكل ماجاء به الكتاب والسنة من عقائد ويحتج بكل وسائل الاقناع والافحام .

٢ — أنه يأخذ بظواهر النصوص فى الآيات الموهمة للتشبيه من غير أن يقع فى التشبيه فهو يعتقد ان لله وجها لا كوجه العبيد وأن لله يدا لا تشبه أيدى المخلوقات .

٣ — أنه يرى ان احاديث الآحاد يحتج بها فى العقائد وهى دليل لاثباتهم ، وقد أعلن اعتقاد اشياء ثبتت بأحاديث الأحاد .

٤ — أنه فى آرائه كان يجانب اهل الاهواء جميعا والمعتزله ويجتهد فى الا يقع فيما وقع فيه كثير من المنحرفين .

وفى الحق ان كثير من آرائه كانت وسطا بين المغالين وطريقا مستقيما بين الآراء المتجاذبة الأطـراف وان الدارس لحياة ذلك المفكر العظيم لا يجد من الصعب عليه ان يختار الصعب طريقا وسط لعلمه الغزير واطلاعه الواسع ، فرأيه فى الصفات وسط بين المعتزلة والجهمية الذين نفوا الحيـاة والسـمع والبصر ، والحشـوية والمجسـمة الذين شـبهوا الله تنزهت صـفاته بالحوادث ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . ورأيه فى القدرة وأفعـال الانسـان وسـط بين الجهمية والمعتزلة ... وقالت المعتزلة : لله يد قدرة ونعمة وقالت الحشـوية : يد جارحة . فسلك الأشـعرى طريقا وسـطا ، يده يد صـفة كالسـمع والبصر ... » (١) .

---

(١) ابن تيمية « للشيخ أبى زهرة ص ١٨٩ — ١٩٠ بتصرف .

هذا فان البعض مايزال يطلب الدليل على ان مذهب السلف فى صفات الله تعالى هو الاثبات

ومما يدعـــو الى العجب حقا ما ذكره صـــاحب كتاب : الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والاسلام « فقد اعتبر ما قرره الامام الأشعرى فى كتابه « الابانة » تجســـيما بلا كيف ، حيث يقـــول :

تبرير رأى الأشعرى والامام ابن تيمية ـــ المجسمين بلا كيف . ثم نقل نصوصا من ابانة الأشعرى ليؤيد كلامه السابق » (١) .

والأغرب من هذا أيضا أنه يرى ان الأشـــعرى اكره من قبل الحنابلة على كتابة رسالته « الابانة » فيقول هذا المؤلف فى ذلك :

ثانيـــا : لأن كثيرا من الباحثين يرون ما قرره الأشـــعرى فى الابانة فى التجسيم بلا كيف قرره تحت ضـــغط الحنابلة فى حالة الاضطرار » (٢) .

وقد جنح المؤلف فى كتابه هذا الى نصر آراء المعتزلة والتنويه بها فقد انحاز اليهم فى القول بنفى رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وغير ذلك واعتبر رأيهم وجيها كل ذلك تحت ســـتار الغيرة على تنزيه الله سبحانه وتعالى كما يزعمون .

---

(١) ص ٩٩ للدكتور احمد حجازى لسقا .
(٢) المرجع السابق ص ١٠١ .

خامسا : تبويب المحدثين لأحاديث الصفات فى كتبهم دليل قاطع ايضا على ان مذهب السلف هو اثبات الصفات التى وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه بعض أبواب كتاب صحيح البخارى رحمه الله تعالى : باب وكان الله سميعا عليما ، باب قول الله ويحذركم الله نفسه ، باب قول الله عز وجل كل شىء هالك الا وجهه . باب قول الله تعالى ولتصنع على عينى ، باب قول الله تعالى لما خلقت بيدى، باب قول الله عز وجل كل شىء هالك الا وجهه . باب قول الله يذكر فى كل باب مجموعة من الأحاديث التى فيها الصفة الت بوب لها .

كما عقد ابوابا ذكر فيها ما انكرت الجهمية من صفات الله تعالى وهكذا كان صنيع كثير من المحدثين ، وهذه بعض ابواب ابن ماجة فى سننه فى الرد على ما انكرت الجهمية : باب فيما انكرت الجهمية وذكر احاديث الرؤية ، والضحك ، والقبض والاصابع ، والطيى ، وغيرها من احاديث الصفات .

والجهمية لم تنكر صدور هذه الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وانما انكرت ما تضمنته من اثبات صفات الله تعالى ، فرد عليهم علماء السنة مابين مكفر ومضلل ومبدع ومفسق (١) .

وقال الامام ابو الحسن الأشعرى فى رسالته الى اهل الثغر، واجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه

---

(١) وقال عبد الله بن الزبير الحميدى شيخ البخارى : ونقول : الرحمن على العرش استوى ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهمى وليس مقصود السلف بأن من أنكر لفظ القرآن يكون جهميا . متبدعا فانه يكون كافرا زنديقا وانما مقصودهم من أنكر معناه وحقيقته » اجتماع الجيش الاسلامية لابن القيم ص ٨٦ .

به نبيه من غير اعتراض فيه ولا تكييف له وان الايمان به واجب وترك التكييف له لازم » (١) .

وقال امام اهل المغرب ابن عبد البر : اهل السنة مجمعون على الاقرار بهذه الصفات الواردة فى الكتاب والسنة ولم يكيفوا شيئا منها ، واما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا : من أقر بها فهو مشبه ، فسماهم من أقر بها معطلة » (٢) .

وقال ابن خزيمة فى كتابه « التوحيد واثبات صفات الرب » عند كلامه على صفة الوجه : فنحن وجميع علمائنا من اهل الحجاز واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا : انا نثبت لله ما اثبته الله لنفسه نقر بذلك بالسنتنا ونصدق بذلك فى قلوبنا من غير ان نشبه وجه خالقنا بوجه احد من المخلوقين وعز ربنا عن أن نشبهه بالمخلوقين وجل ربنا عن مقالة المعاطلين وعز ان يكون كما قاله المبطلون » (٣) .

وقال ابو عمرو الطلمنكى : « واجمعوا ــ اهل السنة ــ على أن معنى (وهو معكم اينما كنتم) ونحو ذلك فى القرآن ان ذلك علمه وان الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء » (٤) .

وذكر البيهقى فى كتابه « الاعتقاد » باباً فى ذكر آيات واخبار وردت فى اثبات صفة الوجه واليدين والعين وهذه صفات طريق

---

(١) ق ١/٧
(٢) فتح البارى ٤٠٧/١٣ .
(٣) ص ١٠
(٤) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٥١٩/٥ .

اثباتها السمع فنثبتها لورود خبر الصادق بها ولا نكيفها » (١) .

وقال الخطيب البغدادى : اما الكلام فى الصفات فان ما روى منها فى السنن الصحاح مذهب السلف رضى الله عنهم اثباتها واجراؤها على ظاهرها ونفى الكيفية والتشبيه عنها والاصل فى هذا ان الكلام فى الصفات فرع على الكلام فى الذت ويحتذى فى ذلك حذوه ومثاله فاذا كان معلوما ان اثبات رب العالمين عز وجل انما هو اثبات وجود لا اثبات تحديد وتكييف فكذلك اثبات صفاته انما هو اثبات وجود لا اثبات تحديد وتكييف فاذا قلنا لله تعالى يد وسمع وبصر وانما هو اثبات صفات أثبتها الله تعالى لنفسه ولا نقول ان معنى اليد القدرة ولا ان معنى السمع والبصر العلم ولا نقول انها جوارح ولا نشبهها بالأيدى والاسماع والأبصار التى هى جوارح وادوات الفعل ونقول : انما وجب اثباتها لأن التوقيف ورد بها ووجب نفى التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) وقوله عز وجل (ولم يكن له كفوا أحد) (٢) .

وقال ابن قدامة المقدسى : « وعلى هذا درج السلف والخلف رضى الله عنهم متفقون على الاقرار والامرار والاثبات لما ورد من الصفات فى كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم والاهتداء بمنارهم وحذرنا المحدثات واخبرنا انها ضلالات » (٣) .

---

(١) ص ٢٩
(٢) من كتاب ذم التاويل لابن قدامة المقدسى ص ٥٦٩ ضمن مجموعة كتب .
(٣) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسى ص ٤

وقال الشهر ستانى فى كتابه « الملل والنحل » : « واعلم ان جماعة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة و . . لايفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقا واحدا ، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه ولا يؤولون ذلك الا انهم يقولون : هذه صفات وردت فى الشرع فنسميها صفات خبرية » .

ثم ذكر الشهر ستانى أن ممن يقول بهذا مالك بن انس واحمد بن حنبل وسفيان الثورى وداود بن على الأصفهانى ومن تابعهم » (١) .

وقال ابو محمد عبد الله بن يوسف الجوينى فى رسالته « اثبات الاستواء والفوقية » : واثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستوائه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح فى ذلك والصدور تنشرح له ، فان التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره ، والوقوف فى ذلك جهل وعى مع كون الرب تعالى ما وصف لنا نفسه بهذا الا لنثبت ماوصف به نفسه لنا ولا نقف فى ذلك » (٢) .

وقال الشيخ احمد بن ابراهيم الواسطى الشافعى فى رسالته « النصيحة فى صفات الرب جل وعلا » :

وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت غير معقولة من حيث التكييف والتحديد ، فيكون المؤمن بها مبصرا من وجه

---

(١) ٩٢/١
(٢) انظر رسالته ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١٨١/١ .

أعمى من وجه ، مبصرا من حيث الاثبات والوجود ، أعمى من حيث التكييف والتحديد . وبهذا يحصل الجمع بين الاثبات لما وصف الله به نفسه وبين نفى التحريف والتشبيه والوقوف وذلك مراد الله تعالى منا فى ابراز صفاته لنا لنعرفه بها ونؤمن بحقائقها لافرق بين الاستواء والسمع ولا بين النزول والبصر لأن الكل ورد فى النص ، فان قالوا لنا ، فى الاستواء شبهتم ، نقول لهم : فى السمع شبهتم ووصفتم ربكم بالعرض وان قالوا : لاعرض بل كما يليق به ، قلنا : فى الاستواء والفوقية لا حصر بل كما يليق به ، فجميع ما يلزموننا فى الاستواء والنزول والوجه واليد والقدم والضحك والتعجب من التشبيه نلزمهم به فى الحياة والسمع والبصر والعلم فكما لايجعلونها اعراضا كذلك نحن لا نجعلها جوارح ومما لا يوصف به المخلوق وليس من الانصاف **ان يفهموا فى الاستواء والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين** فيحتاجون الى التأويل والتحريف ، فان فهموا فى هذه الصفات ذلك فيلزمهم أن يفهموا فى الصفات السبع صفات المخلوقين من الاعراض فما يلزموننا فى تلك الصفات من التشبيه والجسمية نلزمهم فى هذه الصفات من العرضية وما ينزهون ربهم به من الصفات السبع وينفون عنه من عوارض الجسم فيها فكذلك نحن نعمل فى تلك الصفات التى ينسبوننا فيها الى التشبيه سواء بسواء ومن أنصف عرف ما قلناه واعتقده وقبل نصيحتنا ودان الله باثبات جميع صفاته هذه وتلك ونفى عن جميعها التعطيل والتشبيه والتأويل والوقوف ، وهذا مراد الله تعالى منا فى ذلك لأن هذه الصفات وتلك جاءت فى موضع واحد وهو الكتاب والسنة ماذا اثبتنا تلك بلا تأويل وحرفنا هذه وأولناها كان كمن أمن ببعض الكتاب وكفر ببعض وفى هذا بلاغ وكفاية » (١) .

---

(١) بتصرف يسير جدا ص ٢٣ ــ ٢٤ .

وقال فخر الإسلام البزدوى : « اثبات الوجه واليد حق عندنا لكنه معلوم بأصله متشابه بوصفه ولا يجوز ابطال الأصل بالعجز عن درك الوصف ، وانما ضلت المعتزلة من هـذا الوجه فانهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات على وجه المعقول فصاروا معطلة ثم قال : واهل السـنة والجماعة اثبتوا ما هو الأصـل المعلوم بالنص اى الآيات القطعيـة والدلالات اليقينية وتوقفوا فيما هو المتشابه وهو الكيفية ولم يجوزوا الاشتغال بطلب ذلك كما وصف به الراسخين فى العلم فقال : « يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر الا اولوا الألباب (١) .

وقال العلامة ابن ابى العزالحنفى فى شرح العقيدة الطحاوية :

ولفرق الضلال فى الوحى طريقتان : طريقة التبديل وطريقة التجهيل أما اهل التبديل فهم نوعان : اهل الوهم والتخييل واهل التحـريف والتاويل ثم قـال : واما اهـل التجهيـل والتضليل الذين حقيقة قولهم : ان الأنبياء واتباع الأنبياء جاهلون ضالون لا يعرفون ما اراد الله بما وصف به نفسـه من الآيات واقوال الأنبياء ويقولون يجوز ان يكون للنص تأويل لا يعلمه الا الله لا يعلمه جبرائيل ولا محمد ولا غيره من الأنبياء غضـلا عن الصحابة التابعين لهم باحسـان وان محمدا ص كان يقـرا : (الرحمن على العرش) (اليه يصـعد الكلم الطيب) (ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى) وهو لا يعـرف معانى هذه الآيات بل معناها الذى دلت عليه لا يعرفه الا الله تعالى ويظنون ان هذه طريقة السلف .

ثم منهم من يقـول : ان المراد بهذا خـلاف مدلولها الظاهر

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للغنيمى ص ١٨١ .

المفهوم ولا يعرفه أحد كما لا يعلم وقت الساعة ، ومنهم من يقول : بل تجرى على ظاهرها وهؤلاء يشتركون فى القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص التى يجعلونها مشكلة أو متشابهة ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعله الفريق الآخر مشكلا » ص ٥٩٥ — ٥٩٦ شرح العقيدة الطحاوية الطبعة الخامسة .

ويقول الحافظ ابن كثير فى رسالته « العقائد » : فاذا نطق الكتاب العزيز ووردت الأخبار الصحية باثبات السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعظمة والمشيئة والارادة والقول والكلام والرضى والسخط والحب والبغض والفرح والضحك وجب اعتقاد حقيقته من غير تشبيه بشىء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين والانتهاء الى ماقاله الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من غير اضافة ولا زيادة عليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير وازالة لفظ عما تعرفه العرب وتصرفه عليه والامساك عما سوى ذلك » (١) .

سادسا : ما ذكره المفسرون من الأحاديث والآثار عند آيات الصفات التى وردت فى القرآن الكريم دليل آخر على ان مذهب السلف هو الاثبات وليس التفويض ، ولست اعنى بالمفسرين المفسرين الذين سلكوا غير منهج السلف فى تفاسيرهم ، بل اعنى منهم من لم يخرج عن النهج السلفى كابن جرير وابن ابى حاتم وابن كثير وغيرهم ممن سار على هذه الطريقة .

---

(١) مخطوط (ق ٢/٤) .

سابعا : لم يثبت ان احدا من السلف صرح بنقيض هذه الصفات لا من قريب ولا من بعيد ومثال ذلك : انه لم ينقل عن احد منهم انه نفى ان يكون الله جل جلاله فى السماء او ان له وجها بل صرحوا أن من نفى ذلك فهو جهمى ضال مبتدع .

ثامنا : اجماع علماء السلف على وصف من نفى صفات الله تعالى بانه معطل— جهمى متابع فى معتقده للجهم بن صفوان الترمذى فانه اول من اظهرا لقول بنفى الصفات ، واما الذين اثبتوا لله تعالى بعض الصفات ونفوا بعضها فقد سلك هؤلاء منهجا عقليا مع انه يلزمهم فى الصفات التي اثبتوها ما يلزمهم فى الصفات التى نفوها .

تاسعا : مقتضى الايمان بآيات القرآن الكريم واحاديث النبى عليه السلام انما يكون باثبات جميع جزئيات ما يجب الايمان به وفى ذلك زيادة فى الايمان على من فوض الصفات لأن ايمانه بها يكون مجملا لا تفصيل فيه . ولا تفريق بين صفة واخرى . مع الزعم بأن الظاهر منها غير مراد الذى لايتفق مع اعتقاد هذه الصفة .

وغاية القول ان مذهب السلف هو الاثبات وليس التفويض لما يرد على التفويض من محاذير نكتفى بذكر بعضها :

(أ) عدم معرفة النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم لمعانى آيات واحاديث الصفات ، واذا افترضنا جواز ذلك فى كلام الله تعالى فلا يمكن ان يكون هذا جائزا فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم لان هناك احاديث كثيرة فى الصفات .

(ب) انه يؤدى الى القول بأن ظواهر هذه النصوص تدل

على معنى لا يليق بالله تعالى ، وقد قال بهذا جماعة ، قال الرازى : ان هذه المتشابهات يجب القطع بأن مراد الله منها شيء غير ظاهرها كما يجب تفويض معناها الى الله تعالى ولا يجوز الخوض فى تفسيرها » وهؤلاء اعتبروا آيات الصفات من قسم المتشابه ، وهذا قول مردود فقد تطرق امام المفسرين ابن جرير الطبرى فى تفسيره الى بيان المراد بالمتشابه عند قول الله تعالى «هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشبهات » وذكر الأقوال فى ذلك عن السلف ولم يذكر ان احدا من السلف قال بدخول آيات الصفات فى قسم المتشابه ، نفترض ثانية انه اذا جاز ان تكون آيات الصفات من قسم المتشابه فهل تكون احاديث الصفات من المتشابه ايضا ، لأن الأحاديث النبوية ليس فيها متشابه « وقد رد مؤلف كتاب « ايثار الحق على الخلق » على من قال بأن ظاهر المتشابه فى القرآن باطل . بكلام جيد واعتبر هذا القول غير صحيح لقول الراسخين فى العلم « آمنا به كل من عند ربنا » ولذم الله الذين فى قلوبهم زيغ بابتغاء تأويله » (١) .

(جـ) انه يشير الى اتهام من ذكرنا من العلماء بتزوير حقيقة مذهب السلف فى ذلك ، واذا جاز هذا فيلزم منه محاذير منها ابطال الاجماع من اصله وهو أحد أصول التشريع .

(د) مصادمة هذا القول للنصوص التى تفيد الاثبات والتشكيك فى صفات الله تعالى ، وان الشك فى صفات الله تعالى لا يجوز لأنه يؤدى الى التشكيك بالموصوف .

---

(١) ص ١٣٩ من كتاب ايثار الحق على الخلق .

قال الشيخ مرعى المقدسى فى كتابه « اقاويل الثقات فى الصفات » « ومن المعلوم انه عليه السلام كان يحضر فى مجلسه الشريف والعالم والجاهل والذكى والبليد والاعرابى الجافى ثم لا تجد شيئا يعقب تلك النصوص بما يصرفها عن حقائقها لا نصا ولا ظاهرا كما تأولها بعض هؤلاء المتكلمين ولم ينقل عنه عليه السلام انه كان يحذر الناس من الايمان بما يظهر من كلامه فى صفته لربه من الفوقية واليدين ونحو ذلك ولا نقل عنه ان لهذه الصفات معانى اخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها ولما قال للجارية : اين الله ، فقالت فى السماء « لم ينكر عليها بحضرة اصحابه كيلا يتوهموا ان الأمر على خلاف ما هو عليه بل اقرها وقال : اعتقها فانها مؤمنة » (١) .

بل ان بعض الخلف قد أبعد النجعة فى الباطل وذكر قولا فى غاية الشناعة والسقوط ، حيث اعتبر نصوص الكتاب والسنة من اصول الكفر ، ودون هذا الهراء السقيم فى تعليقه على قوله تعالى : (ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ..) ونص ماقاله حرفيا :

لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر » (٢) ويقول السنوسى أيضا (٣) والتمسك فى أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة فى العقل هو اصل ضلالة الحشوية فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة عملا بظاهر قوله

---

(١) (ق ١/١٣) .
(٢) الصاوى على تفسير الجلالين ٣/١٠ .
(٣) شرح ام البراهين ص ٨٢ .

تعالى (الرحمن على العرش استوى) (أأمنتم من فى السماء) (لما خلقت بيدى) ونحو ذلك .. » .

وقد سلك الغزالى اتجاها آخر ازاء نصـــوص الصفات ومن ذلك ما ذكره فى كتابه « المنخول من تعليقات الأصول » فقد قال : « كل خبر مما يشير الى اثبات صفة للبارى تعالى يشعر ظاهره بمستحيل فى العقل نظر ان تطرق اليه التأويل قبل وأول وان لم يندرج فيه احتمال تبين على القطع كذب الناقل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مســـدد أرباب الألباب ومرشـــدهم فلا يظن به ان يأتى بما يستحيل فى العقل وقوله عليه الســـلام (يضـــع الجبار قدمه فى النار) مقبول مؤول محمول على الكافر العتل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أهل النار كل جبار جعظرى) وتشـــهد له قرائن وهو قوله تعالى (لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) وقد علم الـــرب تعالى متســـع النار وما يملؤها فكيف افتقر الى وضع القدم ؟ وهو جعـــل الحجارة حشوها كما قال تعالى (وقودها الناس والحجارة) وحمله على الظاهر نسبة جهل الى الله تعالى عن قول الظالمين ، أو لعجزه عن أن يملأ النار بخلق يخلقه » وختم هـــذا المبحث بقـــوله : « والقول الوجيز ان كل مالا تأويل له فهو مردود ، وما صـــح وتطرق اليه التأويل قبل » (١) .

قال ابن القيم :

ومن كيده بهم — أى الشـــيطان — وتحيله على اخراجهم من العلم والدين : أن القى على الســـنتهم أن كلام الله ورســـوله

---

(١) « المنخول » تحقيق محمد حسن هيتو ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .

ظواهر لفظية لا تفيد اليقين ، وأوحى اليهم أن القواطع العقلية والبراهين اليقينية فى المناهج الفلسفية والطرق الكلامية ، فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القـــرآن وأحالهم على منطق اليونان وعلى ما عندهم من الدعاوى الكاذبة العرية عن البرهان وقال لهم : تلك علوم قديمة صقلتها العقول والأذهان ومرت عليها القرون والأزمان فانظر كيف تلطف بكيده ومكره حتى اخرجهم من الايمان كاخراج الشعرة من العجين » (١) .

ويقول العلامة الأمين الشنقيطى رحمه الله تعالى فى تفسيره عند آية الاستواء فى ســـورة الأعراف : وينبغى للناظر فى هذه المسألة التأمل فى امور : الأمر الأول : أن جميع الصفات من باب واحد لان الموصوف بها واحد ولا يجوز فى حقه مشابهة الحوادث فى شىء من صفاتهم فمن اثبت مثلا أنه سميع بصير وسمعه وبصره مخالفان لأســـماع الحوادث وابصارهم لزمه ذلك فى جميـــــع الصفات كالاستواء واليد ونحو ذلك من صفاته جل وعلا ولا يمكن الفرق بين ذلك بحال .

الأمر الثانى : ان الذات والصفات من باب واحد أيضا فكما انه جلا وعـــلا له ذات مخالفـــة لجميع ذوات الخلق فله تعالى صفات مخالفة لجميع صفات الخلق .

الأمر الثالث : فى تحقيق المقام فى الظاهر المتبادر السابق الى الفهم من آيات الصفات كالاستواء واليد مثلا .

اعلم أولا : انه غلط فى هذا خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين

---

(١) « اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان » ١١٩/١ .

فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق الى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلا فى الآيات القرآنية وهو مشابهة صفات الحوادث . وقالوا : يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره اجماعا لأن اعتقاد ظاهره كفر لأن من شبه الخالق بالمخلوق فهو كافر ولا يخفى على أدنى عاقل ان الله وصف نفسه فى كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق الى الفهم الكفر بالله والقول فيه بما لا يليق به جلا وعلا . والنبى ص الذى قيل له : (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) لم يبين حرفا واحدا من ذلك مع اجماع من يعتد به العلماء على أنه ص : لا يجوز فى حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة اليه ، واحرى فى العقائد ولا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين فزعموا أن الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه مالا يليق ، ولا يخفى ان هذا القول من اكبر الضلال ومن اعظم الافتراء على الله جل وعلا وعلى رسوله ص ، والحق الذى لا يشك فيه أدنى عاقل ان كل وصف وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ص فظاهره المتبادر منه السابق الى فهم من فى قلبه شىء من الايمان هو التنزيه التام عن مشابهة شىء من صفات الحوادث .

فمجرد اضافة الصفة اليه جل وعلا يتبادر الى الفهم أنه لا مناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق وبين شىء من صفات المخلوقين ، وهل ينكر عاقل ان السابق الى الفهم المتبادر لكل عاقل : هو منا فاة الخالق للمخلوق فى ذاته وجميع صفاته ، لا والله لا ينكر ذلك الا مكابر .

والجاهل المفترى الذى يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق

بالله لانه كفر وتشبيه انما جر اليـــه ذلك تنجيس قلبـــه بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق فاداه شـــؤم التشبيه الى نفى صفات الله جل وعلا وعدم الايمان بها ، مع انه جل وعلا هو الذى وصف بها نفسه ، فكان هذا الجاهل مشـــبها اولا ومعطلا ثانيا فارتكب مالا يليق بالله ابتداء وانتهاء . ولو كان قلبه عارفا بالله كما ينبغى معظما لله كما ينبغى طاهرا من اقذار التشبيه لكان المتبادر عنده السابق الى فهمه : ان وصف الله جل وعلا بالغ من الكمال والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين فيكون قلبه مستعدا للايمان بصفات الكمال والجلال الثابتة لله فى القرآن والسنة الصحيحة مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق على نحو قوله (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) . فلو قال لنا متنطع بينوا لنا كيفية الاتصاف بصفة الاستواء واليد ونحو ذلك لنعقلها . قلنا : أعرفت كيفية الذات المقدسة المتصفة بتلك الصفات ؟ فلابـــد أن يقول لا . فنقول : معرفة كيفية الاتصاف بالصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات ، فسبحان من لا يســـتطيع غيره ان يحصى الثناء عليه هو كما اثنى على نفسه .. » هـ (١) .

ثم لنقف وقفة بسيطة مع هذه الاقوال التى توصلوا اليهـــا لنناقشهم فيها حتى يتضح مدى بعدها وغرابتها وانها بعيدة عن روح العلم بعد المشرق عن المغرب بل انها قريبة من تأويلات الباطنية الكفار وتلاعبهم بنصوص الكتاب والسنة .

اما القول الاول وهو ان المراد بالقدم فى الحديث اسم مخلوق فنقول لهم : من هو هذا المخلوق الذى يحمل هذا الاسم أهو اسم

---

(١) تفسير اضواء البيان ج ٢/٣١٨ ــ ٣٢٠ بتصرف يسير .

بدون مسمى أم ما هو ؟ وكيف تنزوى جهنم منه ثم تقول قط قط ، حتى ان جنهم تقسم بعزة هذا المخلوق وكرمه .

أما القول الثانى الذى يزعم ان المراد بالقدم فى الحديث النبى صلى الله عليه وسلم . فهل هذا من تعظيم النبى(ص) ان توضع قدمه فى النـــار أم ماذا يعنون ؟ مع ان الله تعـــالى يقول عن المؤمنين المتقين (لا يسمعون حسيسها) اى النار .

والقول الثالث قد بلغ فى الضلال مدى بعيدا عندما زعموا ان المراء بالقـــدم « ابليس » ومتى كانت لابليس عزة وكرامة حتى تقسم النار به .

كيف تصح هذه التأويلات ونص الحديث ظاهر « حتى يضع الرب تبارك وتعالى فيها قدمه » وفى رواية اخرى عند مسلم (١) « رجله » بدل قدمه وهذه الرواية تنسف تأويلاتهم نسفا ، وارى ان من الظلم بمكان ان يقال عن هذه الضلالات انها تأويلات (٢) بل هى معارضة للنصوص وتكذيب لهـــا ، ورحم الله امام اهل السنة احمد بن حنبل القائل : « من رد حديث رسول الله ص فهو على شفا هلكة » . (٣) فمن هـــذا المثال يتضح للقارىء المنصف ســـلامة مذهب السلف وصحته وان ماســـواه مهزوز وضعيف تنتابه الشكوك والاوهام ويورث من الاشكالات اضعاف اضعافا ما توهموه من ظواهر هذه النصوص . ولا يزال الى

---

(١) صحيح مسلم ٢١٨٧/٥ .
(٢) ولذا فقد اعتبر الامام ابن القيم مازعم من تاويل الحديث الســـابق احد انواع التاويل الباطل . مختصر الصواعق ١٤/١ .
(٣) رواه الامام ابن بطة فى الابانة الكبرى .

الآن كثيرون يتبجحون بأن مذهب الخلف أعلم من مذهب السلف وأحكم !!! .

وكلام الغزالى رحمه الله تعالى غير سديد وما ذهب اليه فى الفهم غريب وبعيد ولو انه اتى بتتمة الحديث وتأمل فيها لكان له شأن آخر .

ونص الحديث كما هو فى صحيح البخارى ، عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايزال يلقى فى النار وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين قدمه فينزوى بعضها الى بعض ثم تقول : قط قط بعزتك وكرمك » (١) ورواه البخارى أيضا من حديث أنس بلفظ آخر « فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط » (٢) .

وقد نقل الحافظ ابن حجر فى شرح هذا الحديث أقوالا كثيرة بعضها اغرب مما قاله الغزالى ومن هذه الاقوال .

قيل ان المراد بالقدم فى الحديث ان هناك مخلوق اسمه قدم ، وقيل المراد بالقدم قدم صدق وهو « محمد » والاشارة بذلك الى شفاعته ، وقيل المراد بالقدم ابليس .. الخ .

فلا أدرى كيف تتفق هذه الاقوال مع هذا الحديث الشريف وهل هكذا يكون الايمان بالسنة والتسليم لها والتعظيم أم ان هذا من الضلال الذى توصلوا اليه بسبب استخدام عقولهم

---

(١) فتح البارى ٣٦٩/١١ .
(٢) فتح البارى ٥٩٦/٨ .

آرائهم فى معارضة النصوص ، ولو أنهم امنوا بها حقا وسلموا صادق المصدوق ولم ينازعوه فيما قاله واتبعوا منهج سلف هذه الامة المبارك ، لما وقعوا فى هذه المازق ولما جنوا هذه لخازى .

ومذهب لسلف هو أول الأقوال التى ذكرها الحافظ فى شرح هذا الحديث ، فقد قال : وطريق السلف فى هذا وغيره مشهورة هو أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله » (١) .

وكم يكون صنيع محقق كتاب المنخول للغزالى حسنا ، لو انه اتى بعبارة يعتذر له فيها سيما وان الغزالى قد تراجع عن نهجه السابق فى التأويل فى آخر امره واتجه قبله السلف كما هو مقرر فى رسالته « الجام العوام عن علم الكلام » التى يقول بها : اعلم ان الحق الصريح الذى لامراء فيه عند أهل البصائر، هو مذهب السلف أعنى الصحابة والتابعين ثم قال : ان البرهان كلى على ان الحق فى مذهب السلف وحده ينكشف بتسليم بضعة أصول مسلمة عند كل عاقل .

ثم بين أن الأول من تلك الأصول المذكورة ان النبى صلى الله عليه وسلم هو أعرف الخلق بصلاح احوال العباد فى دينهم ودنياهم .

الأصل الثانى انه بلغ كلما أوحى اليه من صلاح العباد فى معادهم ومعاشهم ولم يكتم منه شيئا .

الأصل الثالث : أن اعرف الناس بمعانى كلام الله واحراهم

---

(١) المرجع السابق .

بالوقوف على أسراره هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لازموه وحضروا التنزيل وعرفوا التأويل .

والأصل الرابع : أن الصحابة رضى الله عنهم فى طول عصرهم الى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق الى التأويل ، ولو كان التأويل من الدين أو علم الدين لأقبلوا عليه ليلا ونهارا ودعوا اليه أولادهم وأهلهم .

ثم قال الغزالى : وبهذه الأصول الأربعة المسلمة عند كل مسلم نعلم بالقطع ان الحق ما قالوه والصواب ما رأوه (١) » أ هـ باختصار .

(هـ) انه يؤدى الى أن ينسب الى البدعة من خالفه وفى هذا خطأ كبير لأن فيه تسوية بين من أثبت الصفات ومين من نفاها ، وهم جاهلون أى الفريقين أصاب السنة والحق وهذا يؤدى الى أن يكون الحق باطلا وان تكون السنة بدعة .

كما أن القول بمبدأ تفويض الصفات هو الذى ألجأ الملاحده القدامى الى انكار معاد الأجسام فى الآخرة لأنهم اعتبروا القول فى نصوص المعاد كالقول فى نصوص الصفات ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية مبينا ذلك : « وبهذا احتج الملاحدة كابن سينا وغيره على مثبتى المعاد وقالوا : القول فى نصوص المعاد كالقول فى نصوص التشبيه والتجسيم وزعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين ما الأمر عليه فى نفسه ، لا فى العلم بالله

---

(١) نقلا عن تفسير أضواء البيان للعلامة محمد الأمين الشنقيطى .
(١) ومما يؤسف له ان التفتازانى فى شرح المقاصد قد ذكر ما يثبت الاستواء لله تعالى لكنه اعتبر ذلك من قبيل الخطاب الجمهورى .

تعـــالى ولا باليوم الآخر فكان الذى اســـتطابه على هؤلاء هو موافقتهم لهم على نفى الصـــفات والا فلو آمنوا بالكتاب كله حق الايمان لبطلت المعارضة ودحضت حجتهم ولهذا كان ابن النفيس المتطبب الفاضل يقول : ليس الا مذهبان مذهب اهل الحديث او مذهب الفلاسفة فأما هؤلاء المتكلمون فقولهم ظاهر التنـــاقض والاختلاف وأهل الحديث اثبتوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وأولئك جعلوا الجميع تخييلا وتوهيما ومعلوم بالأدلـــة الكثيرة السمعية والعقلية فساد مذهب هؤلاء الملاحدة فتعين ان يكون الحق مذهب السلف اهل الحديث » (١) .

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول لابن تيمية ١١٩/١ ــ ١٢٠ .

من هم المجسمة

يقول البغدادى فى اصول الدين : المسألة الثالثة عشرة من هذا الأصل فى تأويل الوجه والعين من صـــفاته ، اختلفوا فى هذه المسألة فزعمت المشبهة ان لله وجها وعينا كوجه الانســـان وعينـــه » (١) .

وقال فى المسألة التى تليها ، تأويل اليد المضافة الى اللـــه تعالى : زعمت المشبهة أن يدى الله جارحتان وعضوان فيهمـــا كفان واصابع ككفى الانسان واصابعه » وزعم بعض القدرية ان اليد المضافة اليه بمعنى القدرة وهذا التأويل لا يصـــح على مذهبه ، وزعم الجبائى : ان اليد المضافة اليه بمعنى النعمة وهذا خطأ لأن الله تعالى أخبر انه خلق آدم بيديه والنعمـــة مخلوقة **والله لا يخلق مخلوقا بمخلوق ولأن الله تعـــالى خص آدم بهـــذه** الخاصية . ثم قال : وزعم بعض اصحابنا : ان اليدين صـــفتان **لله سبحانه وتعالى ، وقال القلاسى : هما صفة واحدة** » (٢) .

وقال ايضا المسألة الخامسة عشرة من هذا الأصل :

اختلفوا فى تأويل قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فزعمت المعتزلة انه بمعنى استولى وهذا تأويل باطل لأنه يوجب انه لم يكن مستوليا عليه قبل استوائه على العرش . وزعمت

---

(١) اصـــول الدين ص ١٠٩ .
(٢) المرجـــع السابق ص ١١٠ .

المشبهة : ان استواءه على العرش بمعنى كونه مماسا لعرشه من فوقه ، ثم قال : واختلف اصحابنا فى هذا ـ وذكر عدة اقوال منها : ومنهم من قال : ان استواءه على العرش كونه فوق العرش بلا مماسة وهذا قول القلانسى وعبد الله بن سعيد ذكره فى كتابه الصفات » (١) .

وقال ابن بطال عند حديث (ان الله يضع السموات على اصبع ..) لا يحمل ذكر الاصبع على الجارحة بل يحمل على انه صفة من صفات الذات لا تكيف ولا تحدد ، وهذا ينسب للأشعرى » (٢) .

وقال الحافظ ابن حجر : وقسم بعضهم اقوال الناس فى هذا الباب الى ستة اقوال قولان لمن يجريها على ظاهرها : احدهما من يعتقد انها من جنس صفات المخلوقين وهم المشبهة ويتفرع عن قولهم عدة آراء . والثانى : من ينفى عنها شبه صفة المخلوقين لأن ذات الله لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات فان صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته » (٣) .

ويقول البغدادى فى « الفرق بين الفرق » :

اعلموا اسعدكم الله ان المشبهة صنفان : صنف شبهوا ذات البارى بذات غيره ، وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره » (٤) ثم شرع فى بيان فرقهم وقال بن حزم فى « فصله » :

---

(١) المرجع السابق ص ١١٢ .
(٢) « فتح البارى » ٣٩٨/١٣ .
(٣) « فتح البارى » ٤٠٨/١٣ .
(٤) الفرق بين الفرق ص ٢١٤ .

لان التشبيهه انما يكون بالمعنى الموجود فى كلا المشتبهين لا بالاسماء » (١) وقال فى موضع آخر من الكتاب : ولا يكون الشىء تشبيها الا اذا ناب منابه وسد مسده»(٢) ويقول الشهر ستانى : ان جماعة من الشيعة الغالية وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية قالوا : معبودهم على صورة ذات أعضاء وابعاض اما روحانية واما جسمانية » (٣) .

وقال الشهر ستانى فى اول هذا البحث : فأما احمد بن حنبل وداود بن على الأصفهانى وجماعة من ائمة السلف فجروا على منها ج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث مثل : مالك بن أنس ومقاتل بن سليمان ، وسلكوا طريق السلامة فقالوا : نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد ان نعلم قطعا ان الله عز وجل لا يشبه شيئا من المخلوقات وان كل ماتمثل فى الوهم فانه خالقه ومقدره » (٤) .

ومن خلال هذه النصوص التى نقلناها عن البغدادى والشهر ستانى وابن حزم وابن حجر ، يتضح لنا عدة امور هامة :

١ ــ ان التجسيم الذى عابه العلماء وشنعوا على القائلين به ، ان يقال ان لله يد كيد المخلوق ووجه كوجه المخلوق أو أن يده ووجهه أعضاء وان استواء على العرش يكون بمماسة .

٢ ــ ان المعتزلة هم الذين فسروا الاستواء بالاستيلاء ،

---

(١) « الفصل فى الملل » ص ١٢٠/٢ .
(٢) المرجع السابق ١٥٢/٢ .
(٣) « الملل والنحل » ١٠٥/١ .
(٤) المرجع السابق ص ١٠٤ .

وفسروا اليد بالقدرة والنعمة ، وهم سلف فى هذا لكل من قال بذلك من بعدهم ، ويكفى هذا فى الدلالة على بطلانه .

٣ — ان من قال ان الاستواء على العرش المذكور فى الآية معناه : كونه تعالى فوق العرش ، هو حق وهو قول أهل السنة ، وكذا قول من قال : ان اليد والوجه صفتان لله تعالى .

٤ — ان اثبات هذه الصفات المذكورة لله تعالى على وجه يليق به من غير تشبيه لها بصفات المخلوقين أو تمثيل لها او تكييف بأعضاءهم ، ليس مذهب المجسمة والمشبهة وهذا هو مايهمنا من هذا التفصيل فاتضح اذا أن مذهب السلف برىء من التجسيم وبعيد عن التشبيه .

يقول الامام الخطابى : وليس اليد عندنا الجارحة انما هى صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ماجاءت ولا نكيفها وهذا مذهب أهل السنة والجماعة » (١) .

ويقول امام اهل المغرب ابن عبد البر : اهل السنة مجمعون على الاقرار بهذه الصفات الواردة فى الكتاب والسنة ، ولم يكيفوا شيئا منها واما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا : من اقر بها فهو مشبه ، فسماهم من أقربها معطلة » (٢) .

ويقول الامام الترمذى فى سننه فى باب فضل الصدقة : ما ثبت بهذه الرويات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال كيف وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ، واما الجهمية فأنكروها

---

(١) فتح البارى ٤١٧/١٣ .
(٢) فتح البارى ٤٠٧/١٣ .

وقالوا : هذا تشبيه ، وقال اسحاق بن راهويه : انمـــا يكون التشبيه لو قيل : يد كيد وسمع كسمع » (١) .

كما أن التشبيه لا يتفق مع التوحيد ، لأن توحيد الأســـماء والصفات هو أحد اقسام التوحيد الثلاثة ، ولا يسلم هذا التوحيد حتى يعتقد العبد ان الله تعالى واحد فى اسمائه وصفاته لا نظير له ولا مثيل ولا شبيه ، وان من شبه الله بخلقه فقد جعـــل له نظيرا وشبيها مثيلا وهذا بالتالى اخلال كبير بتوحيد الاسماء والصفات . ويقول العلامة القاسمى وهو يتحدث عن أهم مـــا تتميز به الجهمية وهو جنوحهم الى التنزيه البحث فنفوا صفات الله تعالى . ويقول : كان من أعظم شبههم فى باب الصفات اعتقاد ان ظاهرها يفيد التشبيه بالمخلوق أى ان ما يفهم من نصوصـــها يماثل ما يفهم من صفات المخلوق فظاهر معناها التمثيـــل وهو مستحيل فيجب التأويل .

وقد رد عليهم بأن الظاهر المفهوم لو كان المراد به خصائص صفات المخلوقين حتى يشبه المولى بخلقه لمـــا خالف أحد فى رده ونفيه لأن هذا ليس مرادا بالاتفاق للقطع بأنه تعالى ليس كمثله شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله الا ان هذا ليس هو ظاهرها دائما ، ظاهرها ما يليق بالخالق تعالى وليس فى العقـــل ولا فى السمع ما ينفى هذا ، والصفة تتبع موصوفها فكما أن ذاته المقدسة ليست كذوات المخلوقين فكذلك صفاته » (٢) .

---

(١) فتح البارى ٤٠٧/١٣ .
(٢) تاريخ الجهمية والمعتزلة ــ للقاسمى ص ١٩ ــ ٢٠ .

شبهة والرد عليها

وردت عن بعض السلف عبارات تدل على امرار احـــاديث الصفات وترك تأويلها وتفسيرها ، قد اتخذت هذه العبارات شبهة فقرر البعض بموجبها ان مذهب السلف هو التفويض .

وفى الرد على هذه الشـــبهة نقول : ان مثـــل هذه الاقوال الصـــادرة عن بعض علماء السلف لا تتنـــافى مع ما قرروه من الاثبات ، لأن مرادهم بمثل هذه العبارات انما هو ترك الكلام فى معنى كيفيتها لأن معرفة الكيفية لا سبيل اليه فلا بد من اليـــأس من ادراك كنه الصفة وهذا اصل معروف لدى علماء السلف ويؤكد ذلك ان المراد بهذه العبارات ما ذكرناه ان كل من نقـــل عنه مثل هذه العبارات قد نقل عنه القول بالاثبات ، ومثال ذلك ، ما رواه الدارقطنى فى رسالته « الصفات » بسنده قول سفيان بن عيينة : كل شىء وصف الله به نفسه فى القرآن فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثيل »(١) .

وقال الامام ابو القاسم اسماعيل بن محمد الاصفهانى (٢) لما تكلم عن آيات واحاديث الصفات : فان مذهبنا فيـــه ومذهب السلف اثباته واجراؤه على ظاهره ونفى الكيفية والتشبيه وقـــد نفى قوم الصفات فابطلوا ما اثبته الله تعالى وتأولها قوم على

---

(١) ورقـــة (١/٥) .
(٢) توفى عام ٥٣٥هـ .

خلاف الظاهر فخرجوا من ذلك الى ضرب من التعطيل والتشبيه والقصد انما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين لأن دين الله تعالى بين الغالى والمقصر عنه فالأصل فى هذا ان الكلام فى الصفات فرع على الكلام فى الذات واثبات الله تعالى انما هو اثبات وجود لا اثبات كيفية فاذا قلنا يد وسمع وبصر ونحوها فانما هى صفات اثبتها الله لنفسه ولم يقل معنى اليد القوة ولا معنى السمع والبصر العلم والادراك ولا نشبهها بالأيدى والأسماع والأبصار وانما نقول وجب اثباتها لأن الشرع ورد بها ووجب نفى التشبيه عنها لقوله تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) كذلك قال علماء السلف فى أخبار الصفات أمروها كما جاءت » (١) .

وروى الدار قطنى ايضا فى الكتاب نفسه بسنده عن سفيان بن عيينة لما سئل عن احاديث الصفات فقال : هى كما جاءت نقر بها ونحدث بلا كيف » (٢) .

فالمراد من قول سفيان الأول ، انما هو نفى الكيفية كما نفتها ام سلمة وتابعها مالك وغيره من السلف عندما قالوا فى الاستواء انه معلوم والكيف مجهول ، وقد سبق أن ذكرنا قول الترمذى فى سننه : قد ثبتت هذه الرويات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال كيف ، كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك انهم أمروها بلا كيف »

وقال عبد العزيز بن الماجشون امام اهل المدينة واحمد بن

---

(١) من كتابه « الحجة على تارك المحجة » ق ٢٣/ب .
(٢) (ق ٢/٥) الصفات .

حنبل رحمهما الله تعالى : « انا لا نعلم كيفية ما اخبر الله به عن نفسه وان علمنا تفسيره ومعناه » (١) .

وذكر ابو بكر الخلال فى كتاب السنة باسناده عن الاوزاعى قال سئل مكحول والزهرى عن تفسير هذه الأحاديث ــ احاديث الصفات ــ فقالا : امروها على ما جاءت . وقال الوليد بن مسلم سألت الاوزاعى ومالكا وسفيان عن هذه الاحاديث التى فيهـــا الصفة فقالوا امروهـــا بلا كيف . قال ابو عبيد هذه احـــاديث صحاح حملها اصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض وهى عندنا حق لا شك فيه ولكن اذا قيل كيف وضع قدمه فيها وكيف ضحك قلنا لا نفسر هذا ولا سمعنا احد يفسرها » (٢) .

وروى اللالكائى بسنده ان وكيعا قال :

« اذا سألتهم عن ضحك ربنا فقولوا كذلك سمعنا » (٣) .

كما جاء فى بعض العبارات ايضا عن بعض السلف : وترك تفســـيرها اى احاديث الصـــفات ، فالمراد بذلك ترك تاويلها لان لفظ التاويل لايراد به فى كلام العرب الا التفسير او الحقيقة الموجودة فى الخارج التى يؤول اليها الشىء كما ذكر ذلك شـــيخ الاسلام ابن يتمية ، او ان المراد من ذلك ترك التفســـير الـــذى يخرج عن ظاهر اللفظ او ترك التفسير الذى يؤدى الى معـــرفة الكيفية والكنه .

قال حنبل بن اسحاق : سألت انا عبد الله بن احمد بن حنبل

---

(١) موافقة صريح المعقول لابن تيمية ٢٢/١ .
(٢) الحجة فى بيان المحجة (ق ١/٧١) .
(٣) شرح لاصـــول السنة (ق ١/٩٨) .

عن الاحاديث التى تروى عن النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله ينزل الى سماء الدنيا » قال أبو عبد الله : نؤمن بها ونصدق ولا نرد شيئا منها اذا كانت الاسانيد صحاحا ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ونعلم ان ماجاء به الرسول حق قلت لابى عبد الله : ينزل الله الى سماء الدنيا ، قلت: نزوله بعلمه او بماذا ؟ قال لى اسكت عن هذا مالك ولهـذا امض الحديث على ما روى بلا كيف ولا حد كما جاءت به الاثار وما جاء به الكتاب قال الله عز وجل « ولا تضربوا لله الامثال » ينزل كيف شـاء بعلمه وقدرته وعظمته إحاط بكل شيء علما لا يبلغ قدره وصف واصف ولا ينأى عنه هرب هارب » (١) .

وقد استند من اوّل الصفات او فوضها الى قوله تعـالى : « ليس كمثله شيء » وقد وصاروا بذلك يردون كثيرا من صفات الله تعالى تحت ستار التأويل او التفويض . يقول شـارح الطحاوية فى ذلك :

ولكن النفاة قد جعلوا قوله تعـالى : « ليس كمثله شيء » مستندا لهم فى رد الاحاديث الصحيحة ، فكلما جاءهم حديث يخالف قواعدهم وآراءهم وما وضعته خواطرهم وافكارهم رده بـ « ليس كمثله شيء » تلبيسا منهم وتدليسا على من هو اعمى قلبـا منهم ، وتحريفا لمعنى الآى عن مواضعه . ففهمـوا من اخبار الصفات مالم يرده الله ولا رسوله ولا فهمه احد من ائمـة الاسلام انه يقتضى اثباتها التمثيل بما للمخلوقين ، ثم استدلوا على بطلان ذلك بـ «ليس كمثله شيء» تحريفا للنصين ويصنفون الكتب ويقولون : هذا اصول دين الاسلام الذى أمر الله بـه

(١) شرح اصول السنة للالكائى (ق ١/٢٠٥ — ٢) .

ويقرأون كثيرا من القرآن ويفوضون معناه الى الله تعالى من غير تدبر لمعناه الذى بينه الرسول واخبر انه معناه الذى اراده الله » (١) .

وقال العلامة ابن القيم : ومراد السلف بقولهم بلا كيف هو نفى للتأويل فان التكييف الذى يزعمه اهل التأويل فانهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة فيقعون فى ثلاثة محاذير ، نفى الحقيقة واثبات التكييف بالتأويل وتعطيل الرب تعالى عن صفته التى أثبتها لنفسه ، واما اهل الاثبات فليس احد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه ، ويقول كيفيته كذا وكذا حتى يكون قول السلف بلا كيف ردا عليه ، وانما ردوا على اهل التأويل الذى يتضمن التحريف والتعطيل تحريف اللفظ وتعطيل معناه » (٢) .

والخلاصة : ان قول بعض علماء السلف فى آيات واحاديث الصفات « أمرو كما جاءت » هو الاثبات بعينه لان هذه النصوص جاءت بالاثبات ، مثل قوله تعالى « وهو السميع البصير » فيه اثبات ذلك لله تعالى وكذلك الامر بالنسبة لسائر الصفات ، وقوله تعالى « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » يؤكد هذا المعنى فان الله تعالى بعد أى نفى ان يماثله شيء اثبت لنفسه السمع والبصر رغم اتصاف المخلوقين بذلك ، لان سمعه وبصر سبحانه وتعالى لايماثل ولا يشابه سمع المخلوقات وبصرها .

والعبارات التى فيها امرار الصفات تحمل على ما ذكرنا لاستحالةان يراد بها غير ذلك لما فيه من خرقللاجماعات الكثيرة

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠١ .
(٢) اجتماع الجيوش الاسلامية لابن القيم ص ٧٧ .

التى نقلناها والتى تنص صراحة على ان مذهب السلف هو الاقرار بالصفات والامرار لكيفياتها .

واختم الرد على هذه الشبهة بما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى حيث قال : فقول ربيعة ومالك « الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب » موافق لقول الباقين : امروها كما جاءت بلا كيف ، فانما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا : امروها كما جاءت بلا كيف فان الاستواء حينئذ لايكون معلوما بل مجهولا بمنزله حروف المعجم وايضا فانه لايحتاج الى نفى علم الكيفية اذا لم يفهم عن اللفظ معنى وانمايحتاج الى نفى علم الكيفية اذا اثبت الصفات وايضا فان من ينفى الصفات الخبرية أو الصفات مطلقا لايحتاج ان يقول بلا كيف فمن قال : ان الله ليس على العرش لايحتاج ان يقول بلا كيف فلو كان مذهب السلف نفى الصفات فى نفس الامر لما قالوا بلا كيف ، وايضا فقولهم : امروها كما جاءت يقتضى ابقاء دلالتها على ما هى عليه فانها جاءت الفاظا دالة على معانى فلو كانت دلالتها منفية لكان الواجب أن يقال امرو لفظها مع اعتقاد ان المفهوم منها غير مراد او امروا لفظها مع اعتقاد ان الله لا يوصف بمادلت عليه حقيقة وحينئذ فلا تكون قد امرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف اذ نفى الكيف عما ليس بثابت لغو من القول » (١) .

وقال ايضا فى رسالته « الا كليل فى المتشابه والتاويل » .

وقد فسر الامام احمد النصوص التى تسميها الجهمية

---

(١) مجموع الفتاوى ٤١/٥ — ٤٢ .

متشابهات فبين معانيها اية آية وحديثا حديثا ولم يتوقف فى شىء منها هو والائمة قبله مما يدل على ان التوقف عن بيان معانى آيات الصفات وصرف الالفاظ عن ظواهرها لم يكن مذهبا لائمة السنة وهم اعرف بمذهب السلف وانما مذهب السلف اجراء معانى آيات الصفات على ظاهرها باثبات الصفات له حقيقة وعندهم قراءة الاية والحديث تفسيرها وتمر كما جاءت دالة على المعانى لا تحرف ولا يلحد فيها » (١) .

وسئل الامام احمد بن حنبل رحمه الله عن معانى احاديث نفى الايمان عن الزانى والسارق وغيرهما فاجاب بقوله « امروها كما جاءت » وهذا يدل على انهم كانوا يستعملون هذه العبارة ويعنون بها عدم التعرض لذكر اى معنى يصرف هذه النصوص عن ظاهرها .

ولعل الشهر ستانى من اوائل من ذكر ان مذهب السلف هو التفويض وتبعه على ذلك امام الحرمين والرازى وغيرهما .

قال الشهر ستانى فى كتابه « الملل والنحل » ثم ان جماعة من المتأخرين زادوا على ماقاله السلف ، فقالوا لابد من اجرائها على ظاهرها فوقعوا فى التشبيه الصرف وذلك على خلاف ما اعتقده السلف » (٢) وقد تناقض الشهر ستانى فى هذه المسالة حيث ذكر قبل صفحة واحدة مانصه : اعلم ان جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات ازلية من العلم والقدرة . . ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقا واحدا وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه

---

(١) الاكليل — ضمن الرسائل الكبرى ج ٢ ص ٢٢ — ٢٣ .
(٢) ٩٢/١ .

ولا يؤولون ذلك » ففى النص الاول افاد ان اجراء آيات الصفات على ظاهرها هو زيادة على مذهب السلف بل هو التشبيه الصرف ، وفى النص الثانى ذكر ان السلف كانوا يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه .. فنقول للشهر ستانى اليس هذا ايضا اجراء للنصوص على ظاهرها فنحن نطالب الشهرستانى بالتفريق بين ذلك .

وقال الرازى فى هذا الصدد فى كتابه « أساس التقديس » مانصه : « ان هذه المتشابهات يجب القطع بأن مراد الله منها شيء غير ظواهرها كما يجب تفويض معناها الى الله تعالى ولا يجوز الخوض فى تفسيرها » (١) وقد وقع الرازى ايضا هنا فى تناقض وبيان ذلك انه أوجب تفويض معنى هذه المتشابهات الى الله ثم دعا الىحملها علىغير ظاهرهافكيف يكون هذا تفويضا لان مجرد حملها على غير ظاهرها هو نقض للتفويض اصلا ، لان الرازى هو القائل : ولا يجوز الخوض فى تفسيرها » فما هى الفائدة اذا من حملها على غير ظاهرها اذا كان لايجوز لنا الخوض فى تفسيرها .

وقد استغل البعض كتاب ابن الجوزى « دفع شبه التشبيه » (٢) ــ باعتبار انه حنبلى المذهب ــ على ان مذهب الامام احمد ليس هو اثبات الصفات .

وما نريد ان نقوله هنا هو ان ابن الجوزى مضطرب فى مسألة الصفات بشكل خاص فقد اول كثيرا منها ومن هنا فقد طعن فى كثير من علماء السنة بغير حق ونسبهم الى التشبيه .

---

(١) ص ٢٢٣ .
(٢) وقد وقع ابن الجوزى فى اخطاء تتعلق بالعقيدة فى كتابه « تلبيس ابليس »

ولذا فقد رد عليه العلماء وبينوا انه فى معتقده ليس سلفيا خالصا بل انه قد مزج سلفيته بكثير من آراء الا شاعرة والمعتزلة

ومن بين العلماء الذين شنع عليهم ابن الجوزى شيخ الاسلام الانصارى واتهمه بالتشبيه فرد عليه الامام موفق الدين ابن قدامة المقدسى بقوله : **حاشاه من التشبيه ولا يقبل قول ابن الجوزى فيه** » (١) .

كما رد على ابن الجوزى كثير ممن عاصره من العلماء وشنعوا عليه وذكروه بمذهب السلف الصالح ، ومن ذلك الرسالة القيمة التى وجهها له الشيخ اسحاق بن أحمد العلثى وقد ذكر نصها الامام ابن رجب الحنبلى فى ذيله على طبقات الحنابلة وهذه بعض فقرتها : « اعلم انه قد كثر النكير عليك من العلماء والفضلاء والاخيار فى الافاق بمقالتك الفاسدة فى الصفات وقد أبانوا وهاء مقالتك وحكوا عنك انك ابيت النصيحة .. ثم تعرضت لصفات الخالق تعالى كأنها صدرت لا من صدر سكن فيه احتشام العلى العظيم ولا أملاها قلب ملىء بالهيبة والتعظيم بل من واقعات النفوس البرهجية الزيوف وزعمت أن طائفة من أهل السنة والاخيار تلقوها وافهموا وحاشاهم من ذلك بل كفوا عن الثرثرة والتشدق لاعجزا ــ بحمد الله ــ عن الجدال والخصام لاجهلا بطرق الكلام وانما امسكوا عن الخوض فى ذلك عن علم ورواية لا عن جهل وعماية .. وتدعى ان الاصحاب خلطوا فى الصفات فقد قبحت اكثر منهم وما وسعتك السنة فاتق الله سبحانه ولا تتكلم فيه برأيك فهذا خبر غيب لا يسمع الا من الرسول المعصوم فقد نصبتم حربا للاحاديث الصحيحة والذين نقلوا شرائع الاسلام » (٢) .

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٢٠٥ .
(٢) ذيل طبقات الحنابلة ج ٢/٢٠٩ .

وقال ابن قدامة أيضا فيه : كان ابن الجوزى امام عصره .. الا اننا لم نرض تصانيفه فى السنة ولا طريقته فيها » (١) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية مبينا موقف ابن الجوزى حول قضية الصفات : « ان ابا الفرج نفسه متناقض فى هذا الباب لم يثبت على قدم النفى ولا على قدم الاثبات ، بل له من الكلام فى الا ثبات نظما ونثرا ما اثبت به كثيرا من الصفات التى انكرها فى هذا المصنف ، فهو فى هذا الباب مثل كثير من الخائضين فى هذا الباب من انواع الناس يثبتون تارة وينفون أخرى فى مواضع كثيرة من الصفات كما هو حال ابى الوفاء ابن عقيل وأبى حامد الغزالى » أ هـ (٢) .

وقال ابن رجب الحنبلى فيه : نقم عليه جماعة من مشـــايخ اصحابنا وائمتهم ميله الى التأويل فى بعض كلامه واشتد نكيرهم عليه فى ذلك ، ولاريب ان كلامه فى ذلك مضطرب مختلف ، وهو وان كان مطلعا على الاحاديث والاثار فلم يكن يحل شبه المتكلمين وبيان فسادها وكان معظما لأبى الوفاء ابن عقيل متابعا لاكثر ما يجده من كلامه وان كان قد رد عليه فى بعض المسائل وكان ابن عقيل بارعا فى الكلام ولم يكن تام الخبرة بالحديث والاثار فلهذا يضطرب فى هذا الباب وتتلون فيـــه أراؤه وأبو الفرج تابع له فى هذا التلون » (٣) .

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ج ١/٤١٥ وشـــذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ج ٤/٣٣١ .
(٢) مجموع الفتاوى ٤/١٦٩ .
(٣) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ٤/٣٣١ .

شبهة أخرى والرد عليها

فهم كثير من المتكلمين ان قول علماء السلف فى آيات المعية ، ان الله معنا بعلمه . فهموا ان هذا تأويل منهم لهذه الايات ، وهذا فهم باطل وقول عاطل .

والآيات التى يعنونها هى قوله تعالى : (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا) وقول الله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) وقول الله تعالى : (وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم جهركم ..) وقول الله تعالى : (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) فقالت الجهمية ومن سلك سبيلهم : ان هذه الآيات تدل على ان الله تعالى معنا بذاته ، وانه فى كل مكان .

ونرد على هذه الشبهة من وجوه :

١ — ماذكره علماء السلف فى تفسير هذه الآيات ، فقد حملوا معية الله تعالى فى هذه الآيات على العلم فقالوا : ان الله معنا بعلمه .

وهذا من تفسير القرآن بالقرآن ولا شك ان هذا النمط هو أعلى وجوه التفسير وأصوبها لان كلام الله تعالى يفسر بعضه بعضا ويوضح بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا فهو لا يتعارض

ولا يتناقض ولا يتصادم واعتقاد غير هذا فى كلام الله تعالى ضلال وكفر وزندقة ومروق .

الآية الاولى : قول الله تعالى : (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم) . فنقول لهـــؤلاء : لو تدبرتم الآية من أولها الى اخرها لتبين لكم الامر ، لان أول الاية : (الم تر أن الله يعلم مافى السموات وما فى الارض مايكون من نجوى ..) فقـــد ابتدأها سبحانه وتعالى بالعلم ، فهو يعلم ما فى السموات وما فى الارض ويعلم مايكون بين المتناجين قلوا أم كثروا ، واخر هذه الاية : (ثم ينبئهم بما عملو يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) وختمها ايضا بالعلم فهو بكل شيء عليم ، فالله معنا بعلمه ، لا بذاته . وهذا القول ليس متبدعا ولا مخترعا بل ان السلف فسروا الآية بهذا ، فقد روى ابن جرير فى تفسير هذه الاية عن الضحاك انه قال : « هو على العرش وعلمه معهم » (١) ونص ماذكره ابن جرير فى تفسير هذه الاية : وهو قوله : انه شاهدهم بعلمه وهو على عرشه ، وقول الضحاك رواه الاجرى فى الشريعة (٢) .

وقال ابن كثير فى تفسيره : ولهذا حكى غير واحد الاجماع على ان المراد بهذه الاية معية علمه تعالى ، ولا شك فى ارادة ذلك ولكن سمعه ايضا مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من امورهم شيء ثم قال تعالى : « ثم ينبئهم بما عملوا ان الله بكل شيء عليم » قال الامام احمد : افتتح الاية بالعلم واختتمها بالعلم » (٣) .

)١(ان جرير ج ٢٨ ص ١٠ .
(٢) الشريعـــة ص ٢٨٩ .
انظر الرد على الجهمية للامام احمد ص ٩٥ والدر المنثور للسيوطى ج ص ١٨٣
(٣) تفسير ابن كثير ٣٢٢/٤ .

اما الآية الثانية فهى قول الله تعالى (وهو معكم اينما كنتم)

فقد فسرها سفيان الثورى بأن ذلك علمه كما روى ذلك عنه البخارى فى خلق أفعال العباد (١) ، والاجرى فى الشريعة (٢) ، وابن بطة (٣) فى الا بانة الكبرى .

وقال الذهبى : روى غير واحد عن معدان قال سألت سفيان الثورى عن قوله تعـــالى : (وهو معكم أينما كنتم) قال : بعلمه » (٤) .

وقال ابن جرير فى تفسير هذه الآية:يقول وهو شاهد لم عليكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم وهو على عرشه فوق سماواته السبع » (٥) .

وقال أبو القاسم الاصفهانى : فان قيل قد تأولتم قوله عز وجل (وهو معكم أينما كنتم) وحملتموه على العلم ؟ قلنا : ما تأولنا ذلك وانما الاية دلت على ان المراد بذلك العلم لانـــه قال فى اخرها : (ان الله بكل شيء عليم) (٦) .

وقال ابن كثير عن هذه الاية : اى رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر فى ليل أو نهار فى

---

(١) ص ١٢٠ .
(٢) ص ٢٨٩ .
(٣) ق (١/١٩٤) .
(٤) العلو للعلى الغفار ص ١٠٣ .
(٥) ج ٢٧ ص ١٢٥ .
(٦) ق (٢/١٨٦) .

البيوت او فى القفار ، الجميع فى علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم كما قال تعالى : (الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منـــه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون انـــه عليم بذات الصدور » وقال تعالى : « سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » فلا اله غيره ولارب سواه وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لما سأله عن الاحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » (١) .

وقال ابو حيان الاندلسى فى البحر المحيط (٢) : قال الثورى : المعنى علمه معكم وهذه آية اجمعت الامة على تأويل هذه الاية وانها لا تحمل على ظاهرها من المعية بالذات ، ثم قال : وهو معكم : اى بالعلم والقدرة » .

وقال القرطبى : وهو معكم أى بقدرته وسلطانه » (٣) .

وقال : الالوسى :

والاية تمثيل لاحاطة علم الله بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما كانوا » . قال القاسمى فى تفسيره : وقد بسط الامام أحمد الكلام على المعية فى الرد على الجهمية : ولفظ المعية فى كتاب الله جاء عاما كما فى هاتين الآيتين ـــ الحديد ، والمجادلة ـــ وجاء خاصا كما فى قوله تعالى : ان الله مع الذين اتقوا والذين هم

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٠٤/٤ .
(٢) ٢١٧/٨ .
(٣) ٢٣٧/١٧ ، تفسير القرطبى .

محسنون » وقوله : اننى معكما أسمع وارى » وقوله : « لاتحزن ان الله معنا » فلو كان المراد بذاتـــه مع كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص فانه قد علم ان قوله : لاتحزن ان الله معنا أراد به تخصيصه وأبا بكر دون عدوهم من الكفار ، وكذلك قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون « خصهم بذلك دون الظالمين والفجارو ايضا فلفظ المعية ليست فى لغة العـــرب ولا شيء من القرآن ان يراد بها اختلاط احدى الذاتين بالاخرى كما فى قوله : محمد رسول الله والذين معه » وقول : فأولئك مع المؤمنين » وقوله « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » وقوله : وجاهدوا معكم ومثل هذا كثير فامتنع ان يكون قوله « وهو معكم» يدل على ان ذاته مختلطة بذوات الخلق .

وقد بسط الكلام عليه فى موضع آخر وبين أن لفظ المعية فى اللغة وان اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة فهو اذا كان مع العباد لم ينف ذلك علوه على عرشه ويكون حكم معيته فى كل موطن بحســـبه ، فمع الخلق كلهم بالعلم والقـــدرة والسلطان ويخص بعضهم بالاعانة والنصر والتأييد » (١) .

أما الآية الثالثة فهى قول الله تعالى : (وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهـــركم) قال الاجـــرى فى الرد على الجهمية ومن تابعهم : ومما يلسبون به على من لا علم معه قوله تعالى : وذكر الاية السابقة ثم قال : وهذا كله انما يطلبون به الفتنة وهو عنـــد أهل العلم من أهل الحق (وهو اللـــــه فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون) هو كما قال أهل الحق : يعلم سركم مما جاءت به السنن ان الله

---

(١) محاسن التاويل ــ للقاسمى صفحة ٥٦٧٤ .

عز وجل على عرشه وعلمه محيط بجميع خلقه يعلم ماتسرون **وما تعلنون يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون** » .

ويشبه هذه الاية قوله تعالى : (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) فالا له هو المعبود فهو يعبد فى السماء كما يعبد فى الارض . (١) .

وأخرج الاجرى عن قتادة انه قال فى تفسير هذه الاية : هو الـــه يعبد فى السماء والـــه يعبد فى الارض » وقال الاجرى ان العلماء فسروه بذلك (٢) .

٢ ــ الوجه الثانى : تقرر فى القرآن فى مواضع كثيرة ان الله تعالى فى السماء مستو على العرش ، والايات فى ذلك كثيرة جدا منها قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) فى سبعة مواضع ، وقوله تعالى (أأمنتم من فى السماء ان يخسف بـــكم الارض) وقوله تعالى : (اليه يصعد الكلم الطيب) وقوله تعالى عن عيسى : (بل رفعه الله اليه) وقوله تعـــالى فى الملائكة : (يخافون ربهم من فوقهم) واخبر فى كثير من الآيات ان القرآن تنزل من عنده .

واما من الســـنة فالاحاديث الصريحة فى الدلالة على علو الله تعالى كثيرة جدا منها : : قوله صلى الله عليه وسلم : « **ربنا الذى فى السماء تقدس اسمك ..**» (٣) . **وقوله صلى الله عليه**

---

(١) الشريعـــة ص ٢٩٨ .
(٢) الشريعـــة ص ٢٩٨ .
(٣)رواه ابو داود رقم ٣٨٩٢ ، والنســـائى ، واحمـــد ٦/٢١ من حـــديث فضالة بن عبيد والبيهقى فى الأسماء والصفات من حديث ابى الدرداء ص ٣٠٠ .

وسلم : « الا تأمنونى وانا أمين من فى السماء .. » (١) وقوله صلى الله عليه وسلم : « ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » (٢) وقوله للجارية اين الله ؟ قالت فى السماء ... قال اعتقها فلها مؤمنة » (٣) .

وفى هذا الحديث رد على من يزعم قائلا : ولا يسأل عن أينية الله تعالى ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم سأل عن ذلك ، فأى القولين أحق بالاتباع وأولى باقتداء قول نبى الامة الذى لاينطق عن الهوى ، أم مقالة هؤلاء التى تحمل فى طياتها الرد الصريح على سؤال النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فأين هؤلاء من طاعته التى أمرنا بها واين موقع هؤلاء من قول النبى صلى الله عليه وسلم : كل أمتى يدخلون الجنة الا من ابى ، قالوا ومن يأب يا رسول الله ، قال : من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى » (٤) .

ولا يزال الكثير يرى فى كثير من آيات واحاديث الصفات انها تحمل فى طياتها معنى التجسيم ومن هذا القبيل ما سطره أبو زهرة فى كتابه « ابن تيمية » فقد قال :

ولا تتسع عقولنا لادراك الجمع بين الاشارة الحسية بالاصابع والاقرار بأنه فى السماء وأنه يستوى على العرش ،

---

(١) رواه البخارى رقم ٤٣٥١ من حديث ابى سعيد الخدرى ورواه مسلم واحمد .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) رواه مسلم من حديث صاحب القصة معاوية بن الحكم السلمى باب المساجد رقم ٣٣ وابو داود باب الصلاة ١٦٧ والنسائى باب السهو ، والامام احمد ايضا ٤٤٧/٥ .

(٤) رواه البخارى من حديث ابى هريرة رقم ٧٢٨٠ . ورواه غيره .

وبين التنزيه المطلق عن الجسمية والمشابهة للحوادث » (١) . فالكتاب والسنة قد قررا بما لاشك فيه ان الله فى السماء — أى العلو — وثبت ذلك بالنصوص القطعية ، ولذلك فان الآيات الثلاث السابقة تحمل على معية الله لنا بالعلم لا بالذات ، لأن المعية تكون بالذات وتكون بالعلم وتكون بالنصرو التأييد وغير ذلك فتحمل المعية فى الايات على معية العلم لان السلف فسروها بذلك وعلى رأسهم صحابة رسول الله صلى عليه وسلم قال الامام اللالكائى : سياق ما روى فى قوله (الرحمن على العرش استوى) وقال عز وجل : (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال : (أأمنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض) وقال : (وهو القاهر فوق عباده يرسل عليكم حفظة) فدلت هذه الايات انه تعالى فى السماء وعلمه محيط بكل مكان من أرضه وسمائه وروى ذلك من الصحابة عن عمر وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة ، ومن التابعين ربيعة بن أبى عبد الرحمن وسليمان التيمى ومقاتل بن حيان وبه قال من الفقهاء مالك بن أنس وسفيان الثورى وأحمد بن حنبل » (٢) . وأخرج ابن خزيمة قول ابن مسعود : والله على العرش ويعلم أعمالكم » (٣) .

وأخرج الاجرى فى الشريعة عن مالك بن أنس قال : الله عز وجل فى السماء وعلمه فى كل مكان ولا يخلو من علمه مكان ثم تلا قوله تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ..) (٤) .

---

(١) ص ٢٨٨ .
(٢) التوحيد لابن خزيمة ص ١٠٥ . رواه .
(٣) شرح اصول السنن ق (٢/٩٠) .
(٤) الشريعة ص ٢٨٩ ورواه أبو داود فى مسائل الامام أحمد ص ١٠٥ وابن بطة فى الابانة (ق ١/١٩٤) .

٣ ــ الوجه الثالث : هناك آيات كثيرة صريحة فى الدلالة على ان الله تعالى محيط بجميع خلقه بعلمه لا بذاته ، ومن ذلك قوله تعالى : (لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما) وقال الله تعالى : (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعو سبيلك) وقال تعالى : (عالم الغيب لا يغرب عنه مثقال ذرة فى السماء ولا فى الارض ..) وقال تعالى : (قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض).

ولذلك فقد اجمع علماء السلف على ان الله تعالى على عرشه وأن علمه فى كل مكان .

قال الامام ابن عبد البر : اجمـــع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل ، قالوا فى تأويل قوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) هو على العرش وعلمه فى كل مكان وماخالفهم فى ذلك من يحتج بقوله » (١) .

وقال ابو نصر السجزى : وائمتنا كالثورى ومالك وابن عيينه وحماد بن زيد والفضيل واحمد واسحاق متفقون على ان الله فوق العرش بذاته وأن علمه بكل مكان » (٢) .

وروى الخلال فى « السنة » قول اسحاق بن راهوية : قال قال الله عز وجل « الرحمن على العرش استوى » اجماع اهل العلم انه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء اسفل الارض السابعة وفى قعور البحار .. » (٣) .

---

(١) العمـــوية ص ١٤٤ .
(٢) اجتماع الجيوش لابن القيم ص ٩٧ .
(٣) المرجـــع السابق ص ٨٨ .

وقال ابو عمرو الطلمنكى : واجمعوا على ان لله عرشا وعلى انه مستو على عرشه وعلمه وقدرته وتدبيره بكل خلقه ، فأجمع المسلمون من اهل السنة على ان معنى : (وهو معكم اينما كنتم) ونحو ذلك فى القرآن أن ذلك علمه » (١) .

وقال ابن قتيبة : ونحن نقول فى قوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ..) أنه منهم بالعلم بما هم عليه كما تقول للرجل وجهته الى بلد شاسع ووكلته بأمر من أمورك : احذر التقصير والاهمال لشىء مما تقدمت فيه : انى معك . تريد انه لايخفى على تقصيرك أو جدك للاشراف عليك والبحث عن امورك ، واذا جاء هذا فى المخلوق الذى لايعلم الغيب فهو فى الخالق الذى يعلم الغيب أجوز وكيف يسوغ لاحد ان يقول : انه بكل مكان على الحلول مع قوله : (الرحمن على العرش استوى) ومع قوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وكيف يصعد اليه شىء وهو معه ؟ أو يرفع اليه عمل وهو عنده وكيف تعرج الملائكة والروح اليه يوم القيامة » (٢) .

وقال الامام القرطبى فى تفسيره عند آية الاعراف (ثم استوى على العرش) وقد كان السلف الاول رضى الله عنهم لايقولون بنفى الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة باثباتها لله تعالى كما نطق كتابه واخبرت رسله ولم ينكر أحد من السلف الصالح انه استوى على عرشه حقيقة وخص العرش بذلك لانه أعظم مخلوقاته وانما جهلوا كيفية الاستواء فانها لا تعلم حقيقته » (٣) .

---

(١) شرح حديث النزول ص ١٤٤ .
(٢) تاويل مختلف الحديث ص ٢٧١ .
(٣) تفسير القرطبى ٢١٩/٧ .

ويقول الامام الحنبلى عبد القادر الجيلانى رحمه الله فى كتابه « الغنية » وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو ، على الملك محيط علمه بالاشياء (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) (١) .

ويقول أيضا : (وهو منزه عن مشابهة خلقه ولا يخلو من علمه مكان ولا يجوز وصفه بأنه فى كل مكان ، بل يقال : انه فى السماء على العرش كما قال جل ثناؤه : (الرحمن على العرش استوى) وقوله : (ثم استوى على العرش) وقال تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) والنبى صلى الله عليه وسلم حكم باسلام الأمة لما قال لها : « أين الله ؟ فأشارت الى السماء » (٢) .

وقال الامام موفق الدين ابن قدامة المقدسى فى كتاب « ذم التأويل » فان قيل : فقد تأولتم آيات وأخبار ، فقلتم فى قوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) أى بالعلم ونحو هذا من الايات والاخبار فيلزمكم مالزمنا ؟ قلنا نحن لم نتأول شيئا وحمل هذه اللفظات على هذه المعانى ليس بتأويل لان التأويل صرف اللفظ عن ظاهره ، وهذه المعانى هى الظاهرة من هذه الالفاظ بدليل أنه المبتادر الى الافهام منها ، وظاهر اللفظ هو ما سبق الى الفهم منه حقيقة كان أو مجازا ولذلك كان ظاهر الاسماء العرفية المجاز دون الحقيقة كاسم الراوية والظعينة وغيرهما من الاسماء العرفية فان ظاهر هذا المجاز دون الحقيقة وصرفها الى الحقيقة يكون تأويلا يحتاج الى دليل وكذلك الالفاظ التى

---

(١) الغنية ص ٥٤ .

(٢) ص ٥٦ بل الثابت فى الحديث أنها قالت ذلك وربما اقترن مع قولها الاشارة الى السماء .

لها عرف شرعي وحقيقة لغوية كالوضوء والطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج انما ظاهرها العرف الشرعي دون الحقيقة اللغوية ، واذا تقرر هذا فالمتبادر الى الفهم من قولهم : الله معك ، اى بالحفظ والكلاءة ولذلك قال الله تعالى فيما اخبر عن نبيه (اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا) وقال لموسى : (اننى معكما اسمع وارى) ولو اراد انه بذاته مع كل أحد لم يكن لهم بذلك اختصاص لوجوده فى حق غيرهم كوجوده فيهم ولم يكن ذلك موجبا لنفى الحزن عن ابى بكر ولاعلة له فعلم انه ظاهر هذه الالفاظ هو ماحملت عليه فلم يكن تأويلا فما نحن تأولناه وانما السلف رحمة الله عليهم الذين ثبت صوابهم ووجب اتباعهم هم الذين تأولوه فان ابن عباس والضحاك ومالكا وسفيان وكثيرا من العلماء قالوا فى قوله (وهو معكم) اى علمه : ثم قد ثبت بكتاب الله والمتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع السلف ان الله تعالى فى السماء على عرشه وجاءت هذه اللفظة مع قرائن محفوفة بها دالة على ارادة العلم منها قوله (الم تر ان الله يعلم مافى السموات ومافى الأرض) ثم قال فى آخرها (ان الله بكل شىء عليم) . فبدأها بالعلم وختمها به ثم سياقها لتخويفهم بعلم الله تعالى بحالهم وانه ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ويجازيهم عليه وهذه قرائن كلها دالة على ارادة العلم فقد اتفق فيها هذه القرائن ودلالة الأخبار على معناها ومقالة السلف وتأويلهم فكيف يلحق بها ما يخالف الكتاب والأخبار ومقالات السلف فهذا لا يخفى على عاقل ان شاء الله تعالى وان خفى فقد كشفناه او بيناه بحمد الله تعالى ومع هذا لو سكت انسان عن تفسيرها وتأويلها لم يخرج ولم يلزمه شىء فانه لا يلزم احدا الكلام فى التأويل ان شاء الله تعالى » (١) .

---

(١) ص ٦٠٣ ــ ٦٠٥ من مجموعة اعتقاد السلف تحقيق النشار والطالبى .

وقال ابو عبد الله الحارث بن اسماعيل المحاسبى فى كتابه المسمى « فهم القرآن » قال فى كلامه على الناسخ والمنسوخ : وان النسخ لا يجوز فى الأخبار ، قال لا يحل لأحد ان يعتقد ان مدح الله وصفاته واسمائه يجوز ان ينسخ منها شيء ثم ذكر **الآيات التى تدل على علو الله تعالى ومنها : (وهو القاهر فوق** عباده) وقوله (الرحمن على العرش استوى) **وقوله (أأمنتم** من فى السماء) .

وقوله : (لو كان معه آلهة كما يقولن اذا لا بتغوا الى ذى العرش سبيلا) اى طلبوه ، قال ابو عبد الله : فلم ينسخ ذلك أبدا ، كذلك قوله : (وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله) وقوله : (وهو الذى فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم) وقوله (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ...) فليس هذا بناسخ لهذا ولا هذا ضد لذلك ، واعلم ان هذه الآيات **ليس معناها ان الله اراد الكون بذاته فيكون فى اسفل الأشياء أو ينقل فيها لانتقالها أو يتبعض على اقدارها ويزول عنها عند** فنائها وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال فزعموا ان الله تعالى فى كل مكان بنفسه كائنا كما هو على العرش لا فرقان بين ذلك » (١) .

وذكر الشيخ نصر المقدسى فى كتاب «الحجة فى الرد على تارك المحجة » عن ابى هاشم قال سألت ابى وابا زرعة عن مذاهب أهل السنة ؟ فقالا : ادركنا العلماء فى جميع الامصار حجازا وعراقا ومصراً وشاما ويمنا ، فكان مذهبهم : ان الايمان قول وعمل ، ويزيد وينقص والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق بجميع

---

(١) العقيدة الحموية لابن تيمية ص ١٢٩ .

جهاته الى ان قال والله على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بلا كيف . احاط بكل شيء علما » (١) .

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير فى رسالته العقائد : وأنه سبحانه بائن من خلقه لا يحل به شيء ولا يتحد به وان صفاته سبحانه قديمة بقدم ذاته لا ينفصل عنها .. وانه لا يبن عنه شيء من حيث علمه وقدرته وايجاده وملكه ولم يتصل به من حيث ذاته » (٢) .

٤ ــ الوجه الرابع : ما يلزم من القول بان الله تعالى فى كل مكان من اللوازم الباطلة الضالة من الاتحاد والحلول الذى يقول به زنادقة المتصوفة الذين استماتوا فى الدفاع عن هذا المعتقد الزائغ ، وان مقالة الجهمية : ان الله فى كل مكان هى التى أوصلت اصحاب مذهب وحدة الوجود الى تلك النهاية الأليمة .

وقد اطبق علماء السلف فى الرد على مذهب الحلولية ويظهر ذلك فى كثير من كتب العقيدة التى صنفوها ، وقد عقد الامام محمد ابن الحسين الآجرى فى كتابه « الشريعة » بابا فى التحذير من مذاهب الحلولية قال فيه : اما بعد فانى احذر اخوانى فى المؤمنين مذهب الحلولية الذين لعب بهم الشيطان فخرجوا بسوء مذهبهم عن طريق اهل العلم الى مذاهب قبيحة لا تكون الا فى كل مفتون هالك ، زعموا ان الله عز وجل حال فى كل شيء حتى أخرجهم سوء مذهبهم الى ان تكلموا فى الله عز وجل بما تنكره العلماء

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/٢٢٢ .
(٢) مخطوط (ق ٢/١) .

العقلاء ، لا يوافق قولهم كتاب ولا سنة ولا قول الصحابة رضى الله عنهم ولا قول ائمة المسلمين » .

وذكر ان لهم حجة فى قوله تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة ..) فلبسوا على السامع منهم بما تأولوا ، فسروا القرآن على ما تهوى أنفسهم فضلوا واضلوا فمن سمعهم ممن جهل العلم ظن ان القول كما قالوا ليس هو كما تأولوه عند أهل العلم ، والذى يذهب اليه أهل العلم : ان الله عز وجل على عرشه فوق سماواته وعلمه محيط بكل شىء وقد احاط علمه فى جميع ماخلق فى السموات العلا وبجميع مافى سبع أرضين وما بينهما وما تحت الثرى يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

فان قيل فما معنى آية المجادلة ؟ السابقة . اجاب الامام الآجرى بقوله : قيل له علمه عز وجل والله على عرشه وعلمه محيط بهم وبكل شىء من خلقه كذا فسره اهل العلم والآية تدل أولها وآخرها على أنه العلم ، فابتدأ الله عز وجل الآية بالعلم وختمها بالعلم فعلمه عز وجل محيط بجميع خلقه وهو على عرشه وهذا قول المسلمين » (١) .

وقد استدل بعض أهل السنة فى الرد على القائلين ان الله تعالى فى كل مكان ، وانه ليس فى السماء ببعض الأدلة العقلية ، ومن ذلك قول الامام احمد امام أهل السنة رحمه الله تعالى : « اذا أردت ان تعلم ان الجهمى كاذب على الله حين زعم ان الله فى كل مكان ولا يكون فى مكان دون مكان ، فقل : أليس الله

---

(١) انظر « الشريعة » للاجرى من ص ٢٨٥ — ٢٨٨ .

كان ولا شيء فيقـــول نعم ، فقل له : حين خلق الخلق خلقه فى نفسه أو خارجا من نفسه ، فانه يصير الى ثلاثة اقوال لابد له من واحد منها . ان زعم ان الله خلق الخلق فى نفسه كفر ، حين زعم ان الجن والانس والشياطين فى نفسه .

وان قال : خلقهم خارجا من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا كفرا ايضا حين زعم انه دخل فى مكان وحش قذر ردىء . وان قال : خلقهم خارجا من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع وهو قول اهل السنة » أ هـ (١) .

وقال ايضا : « وقلنا للجهمية حين زعموا ان الله فى كل مكان ، فقلنا : اخبرونا عن قول المالله جـــل ثناؤه : (فلما تجلى ربـــه **للجبل) لم يتخلى للجبل ان كان فيـــه بزعمهم ؟ فلو كان فيـــه** كما تزعمون لم يكن يتجلى لشيء هو فيه ، ولكن الله جـــل ثناؤه على العرش وتجلى لشيء لم يكن فيه ورأى الجبل شيئا لم يكن رآه قبل ذلك » .

وقلنا للجهم : لله نور ؟ فقال : هـــو نور كله ، فقلنا : فالله قال : (واشرقت الأرض بنور ربها) . فقد اخبر الله جل ثناؤه ان له نورا فقلنا : اخبرونا حين زعمتهم ان الله فى كل مكان وهو نور . فلم لا يضيء البيت المظلم من النور الذى هو فيه ان زعمـــتم ان الله فى كل مكان ؟ وما بال السراج ان ادخـــل البيت يضيء ؟ فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله تعالى » .

كما قرر العـــلامة ابن القيم فى معرض تفنيده لهذه الفرية بأن

---

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية للامام احمد ص ٩٦ .

ما زعموه من أن الله تعـــالى فى كل مكان فراراً من القول بأنه فى السماء وعلى العرش استوى ـــ فوقعوا فيما فروا منه وذلك بحصرهم الاله الكبير المتعال فى كل هذه الامكنة المخلوقة فقال فى نونيته مشيرا الى هذا المعنى :

نزهتموه بجهلكم عن عرشه وحصرتموه فى مكان ثان

(معنى قول السلف : ان الله فى السماء)

عندما آمن السلف ان الله تعالى فى السماء كما صرحت بذلك النصوص الكثيرة لم يكونوا يعنون ان الله تعالى داخل السماء أو ان السماء تحيط به او انه حال باحداها ، بل معنى : ان الله تعالى فى السماء ، اى على السماء ، والسماء فى اللغة المراد بها العلو .

قال الشـــيخ مرعى المقدسى : والمراد بالسماء هنا ما فوق العرش لأن ما علا يقال له سماء » (١) .

وقال الامام ابو الحسن الأشعرى : فى باب الاستواء : وقال عز وجـــل : « أأمنتم من فى الســـماء ان يخسف بكم الأرض » فالسموات فوقها العرش وكلما علا فهو ســـماء وليس اذا قال « أأمنتم من فى السماء » يعنى جميع السموات وانما أراد العرش الذى هو أعلا السموات ، الا انه ذكر السموات فقال « وجعل القمر فيهن نورا » ولم يقل انه يملأهن جميعا . ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء لأن الله مستو على

المرجع السابق ص ١٠٢ .
(١) أقاويل الثقات (ق ١/١٣) .

العرش الذى هو فوق السموات فلولا ان الله على العرش لم يرفعوا ايديهم نحو العرش » (١) .

وقال الحافظ ابو بكر البيهقى عند كلامه على الاستواء :

(أامنتم من فى السماء) وأراد من فوق السماء كما قال (ولاصلبنكم فى جذوع النخل) بمعنى على جذوع النخل وقال : (فسيحوا فى الأرض) بمعنى على الأرض ، وكلما علا فهو سماء والعرش أعلا السموات ، فمعنى الآية أامنتم من على العرش كما صرح به سائر الآيات » (٢) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فى بيان ذلك : (٣)

ثم من توهم أن كون الله فى السماء — بمعنى أن الله فى السماء تحيط به — فهو كاذب ان نقله عن غيره ، وضال ان اعتقده فى ربه وما سمعنا احدا يفهمه من اللفظ ، ولا رأينا أحدا نقله عن واحد . ولو سئل سائر المسلمين : هل يفهمون من قول الله ورسوله « ان الله فى السماء » ان السماء تحويه لبادر كل احد منهم الى أن يقول : هذا شىء لعله لم يخطر ببالنا .

واذا كان الأمر هكذا فمن التكلف ان يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالا لا يفهمه الناس منه ثم يريد أن يتأوله بل عند المسلمين ان : معنى « الله فى السماء وهو على العرش » واحد ، اذا السماء انما يراد به العلو فالمعنى : ان الله فى العلو لافى السفل . وقد علم

---

(٢) الابانة فى أصول الديانة للامام الاشعرى ص ٣١٠ من مطبوعات الجامعة الاسلامية .
(٣) الأسماء والصفات ص ٢٩٩ .
(٣) العقيدة الحموية الكبرى ص ١٥٨ .

المسلمون ان كرسيه سبحانه وتعالى وسع السموات والأرض وان الكرسى فى العرش كحلقة ملقاه بأرض فلاة وان العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له الى قدرة الله وعظمته فكيف يتوهم — بعد هذا — ان خلقا يحصره ويحويه ؟ وقد قال سبحانه (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) وقال : (فسيروا فى الأرض) بمعنى على » اهـ .

وبهذا يتبين ان من زعم انه يلزم السلف من قولهم « الله فى السماء » ان السماء تضمه او تحويه او انه فى احدها قد جهل وضل وافترى على السلف ما لم يقولوه بل أنهم ردوا على هذا الزعم وعلى مثل هذا الوهم كما تبين من النصوص السابقة التى نقلناها .

بل ان هؤلاء الذين يفترون على مذهب السلف قد ضلوا وجهلوا وماقدر والله حق قدره، لان السموات السبع والارضين وسائر المخلوقات من امكنة وازمنة اين هى من الاله الكبير المتعال فقد أخرج الشيخان البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : جاء حبر من اليهود فقال : انه اذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على اصبع والماء والثرى على اصبع الخلائق على اصبع ثم يهزهن ثم يقول : انا الملك انا الملك ، فلقد رايت النبى صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجده تعجبا وتصديقا لقوله ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضة يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) (١) .

---

(١) فتح البارى ١٣/٤٧٤ ومسلم باب صفات المنافقين رقم ١٩ .

وتول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم ضحك تعجبا وتصديقا لقول الحبر ، يرد على زعم ان النبى صلى الله عليه وسلم قد انكرعلى الحبرهذا واستدلوا بأن النبى صلى الله عليه وسلم تلا قوله عز وجل (وماقدروا الله حق قدره) لهـذا الغـرض . قال الامام ابن خزيمة فى كتابه « التوحيد » باب ذكر امساك الله تبارك وتعالى اسـمه وجل ثناؤه السموات والارض وما عليها على أصابعه ، جل ربنا عن ان تكون أصابعه كأصابع خلقه وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه وقد أجل الله قدر نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يوصـف الخالق البارىء بحضرته بما ليس من صـفاته فيسمعه فيضحك عنده ويجعل بدل وجوب النكير والغضب على المتكلم به ضحكا تبدو نواجذه تصديقا وتعجبا لقائله ، لايصف النبى صلى الله عليه وسـلم بهـذه الصـفة مؤمن مصـدق برسالته » (١) .

وعقد الامام الاجرى فى « الشريعة » بابا قال فيـه : باب الايمان بأن الله عز وجل يمسك السموات على اصبع والارضين على اصبع والجبال والشجر على اصبع والماء الثرى على اصبع والخلائق كله على اصبع » أ هـ (٢) .

ويؤكد هذا ما رواه الامام البخارى فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبـار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لاهل الجنة ، فأتى رجل من اليهود

---

(١) التوحيـد ص ٧٦ .
(٢) الشريعـة ص ٣١٨ .

فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى ، قال : تكون الارض خبزة واحدة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم الينا ، ثم ضحك حتى بدت نواجذه .. » الحديث .

قال الحافظ ابن حجر معلقا عليه : يريد انه اعجبه اخبار اليهود عن كتابهم بنظير ما أخبر به من جهة الوحى وكان يعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه ، فكيف موافقتهم فيما أنزل عليه » (١) .

كما استدل المتكلمون على صحة مذهبهم فى تأويل آيات وأحاديث الصفات بدعواهم ان السلف قد اولوا حديث النبى صلى الله عليه وسلم : (الحجر الاسود يمين الله فى الارض) . ونرد عليهم بما يلى :

متناولين اولا درجة هذا الحديث من حيث الصحة والضعف . فقد اخرج الحديث أبو بكر بن خلاد فى « الفوائد » وابن عدى ، وابن بشران ، والخطيب كلهم من طريق اسحاق بن بشير الكاهلى (٢) . فقد عده ابن عدى والدارقطى ممن يضعون الحديث ، وقال ابن الجوزى : حديث لا يصح ، وقال ابن العربى **هذا حديث باطل فلا يلتفت اليه » وقد اختصرت هذا التخريج** من كتاب « سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة » لمحدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الالبانى .

فاتضح اذا ان هذا الحديث لايفرح بـه لان مداره على راو كذاب فلا يغتر بكثرة طرقه .

---

(١) فتح البارى ٣٧٤/١١ .
(٢) انظر ترجمته فى ميزان الاعتدال للذهبى رقم ٧٤٠ .

قال العلامة الشيخ فالحبن مهدى، فى شرحه للتدميرية ، معلقا على هذا الحديث : فمن تدبرا للفظ المنقول تبين له انه لا اشكال فيه الا على من لايتدبره ، فانه قال : « يمين الله فى الارض » وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم اللفظ المطلق ، فان هذا اللفظ صريح فى ان الحجر الاسود ليس هو من صفات الله ، فالقيد بالارض يدل على أنه ليس هو يده على الاطلاق فلا يكون اليد الحقيقية » (١) .

---

(١) التحفة المهدية شرح التدمرية .. باختصار ص ١٢٥ .

مذهب الحنابلة في الصفات

ان مذهب الحنابلة فى الصفات لايخرج عن مذهب السلف ، **فقد بذل الحنابلة جهدا كبيرا فى الدفاع عن عقيدة السلف والدعوة** اليها ونشرها ، كما أن بعض اتباع المذاهب الاخـرى المتبوعة ساهمت فى هذا الصدد ولكنها كانت جهودا فردية ان صح هذا التعبير .

ولا يزال بعض الذين ورثوا عداوة مذهب السلف يشيعون بين النـاس ان مذهب الحنابلة هو التجسيم ، وهـذه دعوى متهافتة وساكتفى ببيان زيفها بنقل نصين لعالمين من علماء الحنابلة احدهما متقدم وهو ابن أبى يعلى صاحب طبقـات الحنابلة ، والآخر هو السفارينى ، من علماء القرن الثانى عشر .

قال إبن أبى يعلى فى بيان معتقد الحنابلة :

اعتقدوا ان صفات البارى سبحانه معلومة من حيث اعلم هو غيب من حيث انفرد واستأسر ، كما ان البارى معلوم من حيث هو مجهـول ماهو ، واعتقدوا ان البارى سبحانه استأثر بعلم حقائق صفاته ومعانيها عن العالمين وفارق بها سائر الموصوفين فهم بها مؤمنون وبحقائقها موقنون وبمعـرفة كيفيتها جاهلون لايجوز عندهم ردها كرد الجهمية ، ولا حملها على التشبيه كما حملتها المشبهة الذين اثبتوا الكيفية ولا تأولوها على اللغـات والمجازات كما تأولتها الاشعرية » (١) .

---

(١) طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٢٠٩ .

وقال الشيخ محمد بن أحمد السفارينى فى كتابه « لوامع الأنوار البهية » : اعلم ان مذهب الحنابلة هو مذهب السلف فيصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فان الله تعالى ذات لا تشبه الذوات متصفة بصفات الكمال التى لا تشبه الصفات من المحدثات فاذا ورد القرآن العظيم وصحيح سنة النبى الكريم عليه افضل الصلاة وأتم التسليم بوصف للبارى جل شأنه تلقيناه بالقبول والتسليم ووجب اثباته له على لوجه الذى ورد ونكل معناه للعزيز الحكيم ولا نعدل به عن حقيقة وصفه ولا نلحد فى كلامه ولا فى اسمائه ولا فى صفاته ولانزيد على ما ورد ولا نلتفت لمن طعن فى ذلك ورد فهذا اعتقاد سائر الحنابلة كجميع السلف فمن عدل عن هذا المنهج القويم زاغ عن الصراط المستقيم وانحرف فدع عنك فلانا عن فلان وعليك بسنة ولد عدنان » (١)

وتكفى شهادة الامام الاشعرى لعقيدة الامام أحمد ، وأنه على مذهب السلف وهذا ما دعاه ان ينتسب اليه فى ذلك ، فقد قال فى مقدمة كتابه « الا بانة » : قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولمن خالف قوله مجانبون لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذى ابان الله به الحق ورفع به الضلال واوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيع الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من امام مقدم وخليل معظم وعلى جميع ائمة المسلمين » (٢) .

---

(١) اللوامع ج ١/٩١ .
(٢) الابانة ص ٨ .

كما ان هناك عشرات المؤلفات فى العقيدة لعلماء أجلاء من فحول الحنابلة ، « كلمعة الاعتقـــاد » و « العلو » لابن قدامة المقدسى ، وعقيدة عبـــد الغنى المقدسى ، ومؤلفات ابن تيمية ، كالحموية والتدمرية والاصفهانية والقبرصية والمراكشية (١) . وشرح حديث النزول وغيرها .

ومن قبل ذلك كتاب السنة للامام أحمد والسنة لابنه عبد الله ومسائل الاثرم ، والخلال وابن هانىء وغيرهم من تلامذة الامام أحمد ، وابانة ابن بطة الكبرى والصـــغرى وعشرات الكتب لعماء حنابلة ليس فيها انحراف عن مذهب السلف فى الصفات ولا مخالفة له ، وكثير من هذه الكتب قد طبع ولله الحمد .

وهناك أفراد من علماء الحنابلة ، زادوا فى الاثبـــات على ما جاءت به النصوص فقالوا بلوازم بعض الصفات ، فخالفوا بذلك النهج السلفى ، وقد رد عليهم الحنابلة فى ذلك ، وفى كتاب « طبقات الحنابلة » وذيلة تجد صورا لمثل هذا .

كما ان امامة الامام أحمد رحمه الله وتقدمه وشهرته فى السنة والدعوة الى مذهب السلف أمر معروف عنه ومشهور به وتكلم شيخ الاسلام ابن تيمية عن السبب فى ذلك فقال :

الامام أحمد رحمه الله لما انتهى اليه من السنة وفصـــوص رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما انتهى الى غيره وابتلى بالمحنة والرد على أهل البدع أكثر من غيره كان كلامه وعلمه فى

---

(١) وقد حققت هذه الرسالة انا والاخ الكريم الدكتور ناصر بن سعد الرشيد وقد تم طبعها بحمد الله تعالى ..

هذا البا باكثر من غيره فصار اماما فى السنة اظهر من غيره » (١) .

وقال الذهبى وهو يتكلم عن الحنابلة ـ وهو شافعى ـ كما نقل ذلك عنه السخاوى فى الاعلان بالتوبيخ : « وقال عن الحنابلة عندهم علوم نافعة وفيهم دين فى الجملة ولهم قلة حظ فى الدنيا وبعض العلماء يتكلمون فى عقيدتهم ويرمونهم بالتجسيم وبانه يلزمهم وهم بريئون من ذلك والله يغفر لهم » (٢) .

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/١٧٠ .
(٢) الاعلان بالتوبيخ ص ٧٧ .

صلة ابن تيمية
بالعقيدة السلفية

لعله اتضح من خلال هذه الدراسة لمذهب السلف فى الصفات ان اثبات الصفات لله سبحانه وتعالى هو مذهب سلف هذه الامة المبارك من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم ممن اقتفى أثرهم واتبع خطاهم . ومذهب السلف فى الصفات قد نقله لنا العلماء بكل دقة وأمانة عنهم جيلا بعد جيل وطبقة بعد طبقة .

وان شيخ الاسلام ابن تيمية هو أحد المجددين لهذا المذهب والعالمين على احياء هذا المذهب بحماس واخلاص منقطع النظير وليس هو من اختراعه او ابتداعه كما زعم ذلك بعض الباحثين وقد اتى اكثر هؤلاء من عدم اطلاعهم على مذهب السلف وعدم متابعته فى مظانه فى كتبهم ومصنفاتهم ورسائلهم سيما وقد طبع لان قسم منها .

وما كتبه ابن تيمية فى هذا المجال من رسائل وفتاوى انما هو تقرير لمذهب السلف ونقول عنهم ولندع ابن تيمية يقص علينا طرفا من ذلك ، يقول فى مجموع الفتاوى : ماجمعت الا عقيدة السلف الصالح جميعهم ليس للامام احمد اختصاص بهذا والامام أحمد انما هو مبلغ العلم الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجىء به الرسول لم نقبله وهذه عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقلت مرات : قد أمهلت كل من خالفنى فى شىء منها ثلاث سنين فان جاء بحرف

واحد عن احد من القرون الثلاثة التى أثنى عليها النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : (خير القرون القرن الذى بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) يخالف ماذكرته فأنا أرجع عن ذلك ، وعلى أن أتى بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة توافق ماذكرته من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والاشعرية واهل الحديث والصوفية وغيرهم » (١) .

كما اننا نطالب الذين يحاولون تشويه عقيدة ابن تيمية بوصفهم لها بالتشبيه والتجسيم لتنفير الناس منها ، نطالبهم ان يتجهوا الى كتبه ورسائله فى العقيدة كرسالة « الحموية » و « التدمرية » و « الواسطية » و « المراكشية » و « شرح الأصفهانية » وغيرها ليتحققوا من كذب دعواهم وان كل ما يشاع عن ابن تيمية فى هذا الجانب انما هو زور وكذب وادعاء واختلاق وكل دعواهم تنهار من اساسها وهكذا شأن الباطل قال الله تعالى : (وأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض) .

وهذه طلائع الشبيبة الاسلامية قد التزمت المنهج السلفى فى معتقدها غير مبالية بما يلحقها من اللوم والتقريع من بعض الشيوخ الذين جعلوا من انفسهم أوصياء على تراث علم الكلام ، واتخذوا من عداوة منهج السلف الصالح شعارا يلتفون حوله .

ولذلك فلم يسع الانصاف الشيخ ابى زهرة الا ان يسجل كلمة حق فى هذا الصدد فقال رحمه الله : ومذهب ابن تيمية فى العقائد هو مذهب جمهور المسلمين » (٢) .

---

(١) الفتاوى ١٦٩/٣ .
(٢) كتاب احمد بن حنبل لابى زهرة ص ٤٦٣ .

ان موقف السلف من علم الكلام ليس موقفا متسرعا او موقفا مرتجلا كما يظن البعض بل انه موقف يتسم بالدقة والحصافة ويتميز بالحرص الشديد على سلامة العقيدة من التعقيد والالغاز حتى تبدوا العقيدة فى صفائها محافظة على نقائها تبدو جلية امام جماهير المسلمين على كافة المستويات ، وربما يخطر ببال البعض ان ذم السلف لعلم الكلام يرجع الى العجز عن التصدى لأهله وأربابه فأسرع الى هذا النمط من الناس لانقل اليهم كلمة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه اذ يقول : السنة انما سنها من علم ما جاء فى خلافها من الزلل ولهم كانوا على المنازعة والجدل اقدر منكم » .

وقد كتب الى أحد عماله ، أما بعد :

فانى أوصيك بتقوى الله والاقتصاد فى أمره واتباع سنة رسوله وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت سنته وكفوا مؤونته ثم اعلم أنه لم تكن بدعة قط الا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها فعليك بلزوم السنة فانها باذن الله لك عصمة ، فان السنة انما سنها من قد علم مافى خلافها من الخطأ والذلل والحمق والتعمق فارضى لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم فانهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ولهم كانوا على **كشف الأمور اقوى وبفضل ما فيه لو كان احرى ، فانهم** السابقون ولئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم اليه ولئن قلت حدث بعدهم فما أحدثه الا من خالف سبيلهم ورغب بنفسه عنهم ، ولقد تكلموا فيه بما يكفى ووصفوا منه ما يشفى ، فما دونهم مقصر ولا فوقهم محسن لقد قصر عنهم أقوام فجفوا وطمح

عنهم آخرون فغلوا وانهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم » (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا تجالسوا اهل القدر فانهم الذين يخوضون فى آيات الله عز وجل » (٢) .

ونهى صلى الله عليه وسلم : عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال » (٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم قرأ : « ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون » (٤) .

وخرج صلى الله عليه وسلم يوما على أصحابه وهميتولون : الم يقل الله كذا وكذا يرد بعضهم على بعض فكأنما فقىء فى وجهه حب الرمان فقال : انما افسد على الأمم هذا فلا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فان ذلك يوقع الشك فى قلوبكم » (٥) .

---

(١) تقدم تخريجه فى أول الرسالة .

(٢) ـ رواه الحاكم ٨٥/١ ورمز السيوطى لصحته فى الجامع الصغير، ٣٨٩/٦ « فيض القدير » ورواه ابن أبى عاصم فى السنة (ق ٢/٢٦) واللالكائى (ق ١/٢٨) وابن بطة فى الابانة (ق ١/١٥١) والآجرى فى الشريعة ص ٢٣٩ كلهم من حديث عمر مرفوعا . وقال ابن الجوزى : هذا حديث لا يصح وطرقه كلها تدور على يحيى بن ميمون وقد كذبوه « العلل المتناهية (ق ١/٤٠) ولكن الحافظ ابن حجر قال عن يحيى بن ميمون « صدوق » كما فى التقريب ص ٣٨٠ . كما ضعفه الألبانى فى تخريج الطحاوية ص ٣٠٤ .

(٣) ـ رواه البخارى من حديث المغيرة بن شعبة ٣٠٦/١١ .

(٤) ـ رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ٦/٩ ، وابن ماجة رقم ٤٨ .

(٥) رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حديث غريب ٣٠٦/٦ ، ورواه ابن ماجة رقم ٨٥ ، ورواه أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال البوصيرى فى زوائد ابن ماجة هذا اسناد صحيح ورجاله ثقات كما فى « الفتح الربانى » ١٤٤/١ . وقال الهيثمى رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات اثبات » مجمع الزوائد ١٥٦/١ . وصححه الألبانى كما فى تخريجه لشرح الطحاوية ص ٢٨٩ .

وقال صلى الله عليه وسلم : المراء فى القرآن كفر » (١) .

وقال الزهرى : الاعتصام بالسنة نجاة » (٢) .

وقال ابو قلابة : اياكم واصحاب الخصومات فانى لا آمن أن يغمسوكم فى ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ماتعرفون » (٣)

وقال رجل لابن عمر : ارايت .. ارايت فقال : اجعل أريت باليمن انما هى السنن » (٤) .

وقال محمد بن الحنفية : لا تقوم الساعة حتى تكون خصومة الناس فى ربهم » (٥) .

---

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى ٢٢٣/٢ ، وصححه ابن حبان كما فى حاشيته شرح السنة للبغوى ٢٦٠/١ ، ورمز السيوطى لصحته فى الجامع الصغير ١٨٥/٢ .
ورواه ابو داود فى سننه فى باب النهى عن الجدال فى القرآن .
وراوه الاجرى فى الشريعة ص ٦٧ وابن بطة فى الابانة (ق ١/٢٧) واللالكائى فى شرح السنة (ق ١/٢٧) والسلفى فى الطيوريات (ق ٢/٢٤٧) وعزاه صاحب كنزا لعمال للطبرانى ٥٤٦/١ .

(٢) ــ رواه الدرامى ٤٥/١ وابن بطة فى الابانة (ق ٢/١٠٨) واللالكائى فى شرح السنة (ق ١/٢٢) وذكره عياض فى الشفا ١٤/٢ .

(٣) رواه الاجرى فى الشريعة ص ٥٦ ، والبيهقى فى الاعتقاد ص ١١٨ والدارمى ١٠٨/١ واللالكائى (ق ٢/٣٠٣) والهروى فى ذم الكلام (ق ١/٩٢) ورواه ابن البناء فى الرد على المتبدعة (ق ١/٤) وذكره البغوى فى شرح السنة ٢٢٧/١ وعزاه الشاطى فى الاعتصام لابن وهب ٨٣/١ .

(٤) رواه ابن بطة فى الا بانة (ق ٢/١٧٣) الهروى (ق ١/٣٧) .

(٥) هذا الاثر ورد مرفوعا من حديث أبى هريرة فقد أخرجه أبو نصر الديلمى كما فى الدر المنثور ١٤١/٥ وقد سئل الامام الدار قطنى عنه مرفوعا فقال هو من قول محمد بن الحنفية غير مرفوع ، وقال أبو العالية ذكرت ذلك لابن المدينى ــ أى الكلام فى رفعه ــ فقال : ليس هذا بشىء انما الحديث حديث ابن الحنفية كما فى « العلل للدار قطنى » (ق ١/٤٧٧) .

وقال ابن سيرين : ما كان الرجل مع الأثر فهو على الطريق » (١) .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ما اجتمع رجلان يختصمان فى الدين حتى يفتريا على الله عز وجل » (٢) .

وقال مسلم بن يسار : اياكم والجدال فانها ساعة جهل العالم وفيها يبتغى الشيطان زلته »(٣) .

وروى ابن بطة باسناده قال : كتب الى أبى عبد الله رحمه الله كتابا يستأذنه فيه أن يضع كتابا يشرح فيه الرد على أهل البدع وأن يحضر مع أهل الكلام فينا ظرهم ويحتج عليهم فكتب اليه أبو عبد الله :

بسم الله الرحمن الرحيم : أحسن الله عاقبتك ودفع عنك كل مكروه ومحذور ، الذى كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم انهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ ، وانما الامور بالتسليم والانتهاء الى ما كان فى كتاب الله أو سنة رسول الله لا فى الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم فانهم يلبسون عليك وهم لا يرجعون فالسلامة ان شاء الله فى ترك مجالستهم والخوض معهم فى بدعتهم وضلالتهم فليتق الله امرؤ وليصر الى ما يعود عليه نفعه غدا من عمل صالح يقدمه

---

(١) أخرجه الدارمى ١/٥٤ ، والاجرى فى الشريعة ص ١٨ وابن بطة فى الا بانة (ق ١/١١٧) واللا لكائى (ق ١/٢٠) وعزاه السيوطى للبيهقى فى
(٢) رواه ابن بطة فى الا بانة (ق ١/١٧٤) .
(٣) رواه الدارمى ١.٩/١ الاجرى فى اخلاق العلماء ص ٦٩ وابن بطة فى الا بانة (ق ١/١٦٨) والهروى فى ذم الكلام (ق ٢/٩٢) .

لنفسه ولا يكن ممن يحدث أمرا فاذا هو خرج منه اراد الحجه فيحمل نفسه على المحال فيه وطلب الحجة لما خرج منه بحق أو بباطل ليزين به بدعته وما أحدث ، واشد من ذلك ان يكون قد وضعه فى كتاب قد حمل عنه فهو يريد أن يزين ذلك بالحق وبالباطل وان وضح له الحق فى غيره ونسأل الله التوفيق لنا ولك والسلام عليك » . وقال الزركشى ولهذا نهي السلف عن الكلام فى ذات الله تعالى لأن كثرة النظر فى ذلك تسقط مهابة الرب من القلب » (١).

ولايزال هذا الموقف الحكيم تجاه علم الكلام يتكرر كلما وجد المجددون لهذا الدين ، الذين يطالبون بابعاد كل فكر غريب ومنطق دخيل عنه .

فلا غرابة اذا ان يكون للداعية الاسلامى الكبير الشهيد « سيد قطب » موقف حاسم ازاء ذلك وهو ممن يحرص على سلامة الفكر الاسلامى من الدخيل وبناء الجيل المسلم البناء السليم وقد كثرت انتقادات « سيد » لعلم الكلام فى كثير من كتبه واكتفى هنا بنقل نص له من كتابه الفذ « خصائص التصور الاسلامى ومقوماته » يقول رحمه الله (١) : ولما كانت هناك جفوة أصيلة بين منهج الفلسفة ومنهج العقيدة وبين أسلوب الفلسفة وأسلوب العقيدة وبين الحقائق الايمانية الاسلامية وتلك المحاولات الصغيرة المضطربة المفتعلة التى تضمنتها الفلسفات والمباحث اللاهوتية البشرية فقد بدت « الفلسفة الاسلامية » .

---

(١) اعلام الساجد باحكام المساجد ص ١٣٠ .

ـ كما سميت ـ نشاذا كاملا فى لحن العقيدة المتناسق ، ونشأ من هذه المحاولات تخليط كثير شاب صفاء التصور الاسلامى وصفر مساحته وأصابه بالسطحية . ذلك مع التعقيد والجفاف ، مما جعل تلك « الفلسفة الاسلامية » ومعها مباحث علم الكلام غريبة غربة كاملة على الاسلام وطبيعته وحقيقته ومنهجه وأسلوبه .

وأنا أعلم ان هذا الكلام سيقابل بالدهشة ـ على الأقل ـ سواء من كثير من المشتغلين عندنا بما يسمى « الفلسفة الاسلامية » أو من المشتغلين بالمباحث الفلسفية بصفة عامة ولكنى أقرره وأنا على يقين جازم بأن « التصور الاسلامى » لن يخلص من التشويه والانحراف والمسخ الا حين نلقى عنه جملة بكل ما أطلق عليه اسم « الفلسفة الاسلامية » . وبكل مباحث « علم الكلام » وبكل ماثار من الجدل بين الفرق الاسلامية المختلفة فى شتى العصور ايضا : ثم نعود الى القرآن الكريم نستمد منه مباشرة مقومات التصور الاسلامى مع بيان خصائصه التى تفرده من بين سائر التصورات » .

ويقول أستاذنا الداعية الكبير العلامة « محمد الغزالى » فى مقدمة كتابه « عقيدة المسلم » : « فهل يبقى الكلام فى العقائد وحدها حكرا على هذا النمط المزري من الحواشى والمتون ؟ على اننا اذا تغاضينا عن الشكل وتعرضنا للجوهر بالنقد والتمحيص لا نلبث أن ندرك أن هذا الجانب الالهى من الثقافة الاسلامية طغت عليه الفلسفات الغريبة التى نقلها السريان عن اليونان وغيرهم .

فاذا بعلوم العقيدة تتحول عن مجراها العتيد ، واذا بكتب

التوحيد تزدحم باصطلاحات الفلاسفة وطرائق تفكيرهم ، ويبدو أن الاسلاف الباحثين فى هذه الناحية من الاسلام قد فتنهم الاعجاب بما نقله اليهم التراجمة من ثمرات العقل اليونانى ولذلك خلطوها خلطا شديدا بتعاليم الدين .

ولسنا بصدد الحكم على قيمة هذا العمل وحكمته وان كنا ننوه بدلالته على مدى الحرية التى منحها الاسلام اتباعه ، وعلى ان الدائرة التى يعمل فيها العقل الاسلامى تسع العالم أجمع ، فليست مغلقة على عصبية جنسية أو فكرة محلية .

غير ان عناصر العقيدة كادت تتيه وسط هذا الركام من النقول والأقيسة والمصطلحات فوجب تجميعها فى نسق متقارب . ثم ان غرسها فى الأفئدة لن يثمر ويزدهر الا بأسلوب الاسلام نفسه . ومن العجيب أنك تقرأ فى أمهات الكتب الكلامية وتطوى الصفحات الطوال فلا تكاد تعثر على آية أو حديث الا اقتباسات يسيرة تبدو كالزهرات المنفردة فى الأرض السبخة .

وربما استراح عشاق البحث الفلسفى المجرد لهذه الكتب ولا عليهم:لكن هذا لايغنينا عن عرض العقيدة الخالصة بحقائق تتصل عن قرب بمصادرها الأولى :

(والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) (١) .

وروى ابن بطة باسناده ان عطاء سئل عن شىء ؟ فقال : لا أدرى ، فقيل له : قل فيها برأيك ، فقال : انى

---

(١) ص ١٣ — ١٤ عقيدة المسلم

لاستحى من الله أن يدان فى أرضه برأيى » (١) .

وأختم هذا البحث بالتنبيه على بعض الأمور الهامة التى لابد من ذكرها . اننا عندما نقدم هذا البحث لا نقصد من ورائه تفريق الكلمة أو زعزعة الصفوف ، بل نرى ان بيان ذلك فريضة لا مجال للتفريط فيها ولا مساومة عليها ، لأننا نرى ان التفاف المسلمين على النهج السلفى فى مسائل العقيدة من اهم مايجب عليهم ان يعتنوا به ويحرصوا عليه فى هذه الآونة لأن فيه القضاء الحقيقى على الخلافات التى مزقتنا شر ممزق ، والادعاء بان الصف الاسلامى خال من ذلك فيه تجاوز كبير وبالتالى فان مثل هذه الادعاءات لا تخدم الواقع الاسلامى لأنها تبقى على عوامل الفرقة واسباب الانقسام .

واذا حقق المسلمون هذه العودة الكريمة وتمسكوا بأهداب العقيدة السلفية وقام فيهم هذا التغيير فستزول معه — باذن الله تعالى — كثير من الخصومات والعداوات وستكون الوحدة الحقيقة للصف الاسلامى نابعة من وحدة العقيدة المتماسكة .

يقول الشيخ ابو القاسم اسماعيل الأصفهانى التيمى فى معرض رده على من زعم ان البحث فى الصفات وما شابهها تورث التقاطع والتدابر والاختلاف : قال : « الجواب انا قلنا هذا فى المسائل المحدثة واما القول فى هذه المسائل من شرط أصل الدين ولابد من قبوله على نحو ما ثبت فيه النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ولا يجوز لنا الاعراض عن نقلها وروايتها وبيانها لتفرق الناس فى ذلك كما فى الاسلام والدعوة الى التوحيد واظهار الشهادتين » (٢) .

---

(١) مختصر الا بانة الكبرى (ق ١/٣٨)
(٢) الحجة فى بيان المحجة — لابى القاسم الاصفهانى (ق ١/٦٦) .

كما اننى لا ازعم اننى فى هذا البحث المختصر اتهم العلمـــاء الذين ليسوا على النهج السلفى فى العقيدة ــ بالخيانة العلمية ، أو الاهمـــال العلمى .. لأن كثيرا من هـــؤلاء انما اتـــوا من تقصيرهم بالاهتمام بمعرفة مذهب السلف ، وزاد فى هذا العزوف ما علق فى اذهانهم من ان مذهب الســـلف فى الصـــفات هـــو التفويض ، فان هذا كان من الأسباب الكبيرة التى بعدت الشقة بينهم وبينه .

يقول الدكتور على سامى النشار والدكتور عمار الطالبى فى مقدمة تحقيقهما لمجموعة من رســـائل السلف بعنوان « عقائد السلف » :

لم يعتن الباحثون فى مجـــال العقائد الاســـلامية واصـــولها بدارسة أو تحليل العقائد السلفية التى تعتمد على صريح القرآن وناطق السنة ، والحقيقة ان دراسة الاســـلام وعقائده لايمكن ان تكون قائمة على سوقها ان لم تتناول ماكتبه السلف من أهل القرن الثالث والرابع وما صنفه من نهج نهجهم من بعدهم على توالى العصر الى عهد ابن تيمية ومن اخـــذ عنه من الأعلام حتى عصرنا هذا .

ولذلك رأينا أن نتجه لدراسة هذ االجانب الأساسى فى مجال الدراسات الاسلامية وان نعطيه ما يستحقه من عناية واهتمام ، ونعتقد ان اول خطوة فى هذه الدراسة انما هى نشر هذه المؤلفات الدفينة وبعث هذه الرسائل والنصـــوص التى غفل أكثر الناس عنها حتى ان المؤسسات الثقافية الكبرى عندنا كالأزهر وبقية الجامعات لم تولها أى اهتمام ولا اعتبار فى مناهجها ودراستها

ذلك ان الدارسين اعتمدوا على كتب المتأخرين المشوبة بكثير من الأنظار الغريبة الدخيلة وآراء عهد الحضارة الاسلامية مع ان المنهج العلمى التاريخى الصحيح يقتضى ان نرجع الى الأصـــول الأولى قبل كل شىء » (١) .

ان الذين ينفون بعض صفات الله التى اثبتها الله لنفسه فى كتابه أو اثبتها له النبى صلى الله عليه وسلم ، هم على خطر عظيم وان تأويلهم لهـــذه الصـــــفات لايعفيهم من مغبة عظيم ما وقعوا فيه من تحريف لهذه الصـــفات وتبديل لها وان كان الكثير منهم يسمى هذا التحريف والتعطيل بغير اسمه فيسمونه تارة تأويلا وتارة مجازا . فهم بذلك قد عطلوا كثيرا من المحامد التى تمدح الله بها فى القـــرآن الكريم لأن الله تعالى يحب أن تلهج الالسنة بحمده ولذلك فقد جاء فى الحديث الذى رواه الامام البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صـــلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه فى صلاته فيختم بقل هو الله أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى صـــلى الله عليه وسلم فقال : ســـلوه لأى شىء يصـــنع ذلك ؟ فسألوه فقال : لأنها صـــفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبى صـــلى الله عليه وســـلم : اخبروه أن الله يحبه » (٢) وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسم : ولا شىء أحب اليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه » (٣) وهل يكون مدح الله تعالى بغير ما مدح به نفســـه أو مدحه به رسوله من صفات الكمال ونعوت الجلال والالتجاء

---

(١) المقدمة . الصفحة الاولى .
(٢) فتح البارى ٣٤٧/١٣
(٣) رواه البخارى ٥٩٥/٨ الفتح ومسلم فى اللعان رقم ١٧ .

اليه سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وقد ندبنا الله تعالى الى ذلك بقوله : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) . يقول العلامة الشنقيطى فى تفسيره عند كلامه على آية الاستواء فى سورة الاعراف : فتمدح سبحانه جل وعلا فى سبع آيات من كتابه باستوائه على عرشه ولم يذكر صفة الاستواء الا مقرونة بغيرها من صفات الكمال والجلال القاضية بعظمته وجلاله جل وعلا وأنه الرب وحده المستحق لأن يعبد وحده .

الموضع الأول : بحسب ترتيب المصحف الكريم قوله هنا فى سورة الأعراف : « ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » (١) وهكذا فى سائر الآيات التى فيها صفة الاستواء فى سورة يونس آية ٣ والرعد آية ٢ **وطه آية ٥ والفرقان آية ٥٩ والسجد آية ٤ والحديد آية ٤** » .

ان المجاوز لما وصف الله به نفسه او وصفه به رسوله قد **ضل وزل وخسر وخاب لأن فى ذلك استدراك فيما لا استدراك** فيه ويكفى لمعرفة بطلانه ان يعلم أن من المتفق عليه لدى العلماء انهم يردون عند النزاع فى امور دينهم الأمر الى الكتاب والسنة امتثالا لأمر الله تعالى بذلك فى قوله : « فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » فكيف يصح الرد هنا او كيف يكون بعد انعدام الضابط وفقدان الميزان لأننا لا نعرف ان فلانا زاد فى وصف الله تعالى او جاوز وتعدى فى ذلك الا بالكتاب والسنة ،

---

(١) أضواء البيان للشنقطى ٢٨٣/٢ .

فمن أين يأتى هـذا على كلامه بدليل بعد أن عـدم الدليل من التنزيل ، وهل يصح لأحد ان يؤمن بمقال ليس له ذكر فى الكتاب والسنة ، أو يلتزم الايمان بعقيدة ليس مصدرها الوحى .

ويتناول ابن كثير فى رسالته « العقائد » موضـوع تحريف الصفات فيقول : ثم الكفر بالتحريف والتبديل قد يكون مخرجا عن الاسلام وقد لا يكون ، فان كان مخرجا كالتحريف فى صفات الباري عز وجل المؤدي الى تشبيهه بخلقه سـبحانه وتعالى او تعطيلها أو اخراجها عن معنى يليق بجلاله فهو كفر مخـرج الدين بلا شك » (١) .

ويقول الشيخ الأمين الشنقيطى رحمه الله تعالى فى آخـر رسالته « منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات » ما نصه : انه ينبغى للمؤولين أن يتأملوا آية من سـورة الفـرقان وهى قوله تعالى : « ثم اسـتوى على العرش الرحمن فاسـئل به خبيرا » ويتأملوا معها قوله تعالى فى سورة فاطر : « ولا ينبئك مثل خبير » فان قوله فى الفرقان : « فاسـئل به خبيرا » بعد قوله : « ثم استوى على العرش الرحمن » يدل دلالة واضحة ان الله الذى وصف نفسه بالاستواء خبير بما يصف به نفسه لا تخفى عليه الصفة اللائقة من غيرها ويفهم منه الذى ينفى عنه صفة الاستواء ليس بخبير ، نعم هو والله ليس بخبير » (٢) .

ويقول الشيخ عبد القادر الجيلانى فى « الغنية »

وينبغى اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل ، وانه استواء

---

(١) (ق ١/١٩) .
(٢) ص ٢٦ .

الذات على العرش ، لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة والكرامية ، ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية ، ولا على معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة ، لأن الشرع لم يرد بذلك ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث ذلك بل المنقول عنهم حمله على الاطلاق ، وقد روى عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله عز وجل : (الرحمن على العرش استوى) قالت : الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والاقرار به واجب والجحود به كفر » (١) .

ويقول أيضا : وكونه عز وجل على العرش مذكور فى كل كتاب انزل على كل نبى أرسل بلا كيف ، ولأن الله تعالى فيما لم يزل موصوف بالعلو والقدرة والاستيلاء والغلبة على جميع خلقه من العرش وغيره ، فلا يحمل الاستواء على ذلك ، فالاستواء من صفات الذات بعد ما أخبرنا به ونص عليه واكده فى سبع آيات من كتابه ، والسنة المأثورة به وهو صفة لازمة له ولا ئقة به كاليد والوجه والعين والسمع والبصر والحياة والقدرة وكونه خالقا رازقا ومحييا مميتا موصوف بها ولا نخرج من الكتاب والسنة نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما ونكل الكيفية فى الصفات الى علم الله عز وجل » (٢) .

---

(١) ص ٥٦

(٢) ص ٥٧ . وربما لا يروق هذا الكلام الكثير ممن يعظمون الجيلانى فيسارعون الى انكاره او الى حذفه من كتابه ، فقد ذكر الشيخ نعمان خير الدين الالوسى فى كتابة « جلاء العينين فى محاكمة الاحمدين » فقد قال : ولا عبرة بما صنعه بعض العلماء الخلفيين من رفع هذا البحث من كتاب « الغنية » لان نقل هذه العقيدة عنه قدس سره مستفيض فى كثير من كتب المؤلفين وزبر المتقدمين » ص ٤٠٢ .

وقال العلامة ابن القيم :

فصل في تعجيز المتأولين عن تحقيق الفرق بين مايسوغ تأويله من آيات الصفات وأحاديثها مما لايسوغ .

لاريب ان الله وصف نفسه بصفات وسمى نفسه بأسماء وأخبر عن نفسه بأفعال . وأخبر أنه يحب ويكره ويمقت ويغضب ويرضى ويسخط ويجيء ويأتي وينزل الى سماء الدنيا وانه استوى على عرشه وان له علما وحياة وقدرة وارادة وسمعا وبصرا ووجها وان له يدين ووصفه رسوله بأنه يفرح ويضحك وان قلوب العباد بين اصبعين من أصابعه وغير ذلك .

فيقال للمتأول : تتأول هذا كله على خلاف ظاهره أم تفسر الجميع على ظاهره وحقيقته أم تفرق بين بعض ذلك وبعضه ؟ فان تأولت الجميع وحملته على خلاف حقيقته كان ذلك عنادا ظاهرا وكفر صراحا وجحدا لربو بيته وهذا مذهب الدهرية الذين لا يثبتون للعالم صانعا . فان قلت : اثبت للعالم صانعا ولكن لا أصفه بصفة تقع على خلقه ، وحيث وصف بما يقع على المخلوق تأولته ، قيل له : فهذه الأسماء الحسنى والصفات التى وصف بها نفسه هل تدل على معان ثابتة هى حق فى نفسها أولا تدل ؟ فان نفيت دلالتها على معنى ثابت كان ذلك غاية التعطيل . وان اثبت دلالتها على معان هى حق فى نفسها ثابت ، قيل لك : فما الذى سوغ لك تأويل بعضها دون بعض ؟ وما الفرق بين ما اثبتها ونفيتها من جهة السمع أو العقل ، ودلالة النصوص على ان له سمعا وبصرا وعلما وقدرة وارادة

وحياة وكلاما كدلالتها على ان له محبة ورحمة وغضبا ورضا وفرحا وضحكا ووجها ويدين . فدلالة النصوص على ذلك سواء ، فلم نفيت حقيقة رحمته ومحبته ورضاه وغضبه وفرحه وضحكه وأولتها نفس الا رادة ؟ فان قلت : ان اثبات الارادة والمشئية لايستلزم تشبيها وتجسيما ، واثبات حقائق هذه الصفات يستلزم التشبيه والتجسيم فانها لا تعقل الا فى الاجسام ، فان الرحمة رقة تعترى طبيعة الحيوان ، والمحبة ميل النفس لجلب ماينفعها ودفع مايضرها وكذلك جميع ما أثبته من الصفات انما هى أعراض قائمة بالأجسام فى الشاهد . فان العلم انطباع صورة المعلوم فى نفس العالم ، أوصفة عرضية قائمة به ، وكذلك السمع والبصر والحياة أعراض قائمة بالموصوف . فكيف لزم التشبيه والتجسيم من اثبات تلك الصفات ولم يلزم من اثبات هذه ؟ فان قلت : انا اثبتها على وجه لايماثل صفاتنا ولا يشبهها . قيل لك فهلا اثبت الجميع على وجه لايماثل صفات المخلوقين ؟ فان قلت : هذا لايعقل قيل لك : فكيف عقلت سمعا وبصرا وحياة وارادة ومشيئة ليست من جنس صفات المخلوقين ؟ فان قلت : انا أفرق بين **ما يتأول وبين مالا يتأول بأن ما دل العقل على ثبوته يمتنع** تأويله كالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر ، وما لايدل عليه العقل يجب أو يسوغ تأويله كاليد والوجه والضحك والفرح والغضب والرضى فان الفعل المحكم دل على قدرة الفاعل ، وأحكامه دل على علمه ، والتخصيص دل على الارادة فيمتنع مخالفة مادل عليه صريح العقل . قيل لك : وكذلك الانعام **والاحسان وكشف الضر وتفريج الكربات دل على الرحمة كدلالة** التخصيص على الارادة سواء . والتخصيص بالكرامة والاصطفاء والاختيار دل على المحبة كدليل ماذكرت على الارادة ،

والاهانة والطرد والا بعاد والحرمان دال على المقت والبغض كدلالة ضده على الرضاء . ونقول ثانيا : هب ان العقل لا يدل على اثبات هذه الصفات التى نفيتها فانه لا ينفيها ، والسمع دليل مستقل بنفسه ، بل الطمانينة اليه فى هذا الباب أعظم من الطمانينة الى مجرد العقل، فما الذى يسوغ لك نفى مدلوله. ويقال ثالثا : ان كان ظاهر النصوص يقتضى تشبيها وتجسيما فهو يقتضيه فى الجميع ، فأول الجميع وان كان لايقتضى ذلك لم يجز تأويل شىء منه ، وان زعمت ان بعضها يقتضيه وبعضها لايقتضيه طولبت بالفرق بين الأمرين .

وقالت طائفة : ما لم يكن ظاهره جوارح وابعاضا كالعلم والحياة لايتاول وماكان ظاهره جوارح وأبعاضا كالوجه واليدين والقدم فانه يتعين تأويله لاستلزم اثباته التركيب والتجسيم .

قال المثبتون : جوابنا لكم هو عين الذى تجيبون به خصومكم من الجهمية والمعتزلة نفاة الصفات ، فهم قالوا لكم : لو قام به سبحانه صفة وجودية كالسمع والبصر والعلم والقدرة والحياة لكان محلا للاعراض ولزم التركيب والتجسيم والانقسام كما قلتم لو كان له وجه ويد واصبع لزم التركيب والانقسام وحينئذ فما هو جوابكم لهؤلاء نجيبكم به . فان قلتم : نحن نثبت هذه الصفات على وجه لاتكون اعراضا ولا نسميها أعراضا فلا يستلزم تركيبا ولا تجسيما . قيل لكم : ونحن نثبت الصفات التى اثبتها الله لنفسه نفيتموها انتم عنه على وجه لايستلزم الا بعاض والجوارح ولايسمى المتصف بها مركبا ولا جسما ولا منقسما . فان قلتم : هذه لا يعقل منها الا الاجزاء والابعاض

قلنا لكم : وتلك لا يعقل منها الا الأعراض » (١) .

وربما يتساءل البعض قائلا : هل اثبات الصفات لله تعالى على الوجـــه اللائق بجلاله وعظمته امر يجب ان يعلمه كل مسلم ؟ .

وللاجابة على هذا التســاؤل نقول : ان الجماهير والعامة يكفيهم ان يعتقدوا ان كل ماجاء فى الكتاب والسنة من صفات الله تعالى حق ، بغير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تأويل ولا تعطيل وان يعتقدوا ان كل ماجاءت به نصوص الكتاب والســنة حق وليس فى ظاهر شىء منهما ما يــوهم الباطل او ان شــيئا من ظواهرهما غير مراد من الشارع .

وقد تعرض الامام الغزالى فى رسالته الجام العوام عن علم الكلام » لهذه المسالة بدقة حيث يقول :

واما اقل ما يجب اعتقاده على المكلف فهو ما يترجمة قوله : لا اله الا الله محمد رسول الله . ثم اذا صدق الرسول فينبغى أن يصدقه فى صفات الله تعالى فانه حى قادر عالم متكلم مر يد ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، وليس عليه البحث عن حقيقة هذه الصــفات . وان الكلام والعلم وغيرهما قديم أو حادث بل لو لم تخطر له هذه المسالة حتى مات ، مات مؤمنا وليس عليه تعلم الادلة التى حررها المتكلمون . بل كلما حصل فى قلبه التصديق بالحق بمجرد الايمان من غير دليل وبرهان فهو مؤمن ، ولن يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص ٢٢ ــ ٢٦ باختصار يسير جدا .

ذلك . وعلى هذا الاعتقاد المجمل استمرت الأعراب وعوام الخلق الا من وقع فى بلدة يقرع سمعه فيها هذه المسائل مقدم الكلام وحدوثه ومعنى الاستواء والنزول وغيره فان لم يأخذ ذلك قلبه وبقى مشغولا بعبادته وعمله فلا حرج عليه ، وان اخذ ذلك بلبه فأقل الواجبات عليه ما اعتقده السلف فيعتقد فى القرآن القدم كما قال السلف ، القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويعتقد ان الاستواء حق والسؤال عنه مع الاستغناء بدعة والكيفية فيه مجهولة فيؤمن بجميع ماجاء به الشرع ايمانا مجملا من غير بحث عن الحقيقة والكيفية فان لم ينفعه ذلك ، وغلب على قلبه الاشكال والشك فان أمكن ازالة شكه واشكاله بكلام قريب من الافهام وان لم يكن قويا عند المتكلمين ولا مرضيا عندهم — فذلك كاف ولا حاجة به الى تحقيق الدليل بل الاولى ان يزال اشكاله من غير برهان حقيقة الدليل فان الدليل لا يتم الا بدرك السؤال والجواب عنه : ومهما ذكرت الشبهة فلا يبعد ان ينكر بقلبه ويكل فهمه عن درك جوابه اذ الشبهة قد تكون جلية والجواب دقيقا لا يحتمله عقله — ولذا زجر السلف عن البحث والتفتيش عن الكلام وانما زجروا عنه لضعفاء العوام (١) .

وقال الامام الغزالى فى رسالته « القسطاس المستقيم » :

اما الاصول فليس عليك أن تعتقد فيها الا ما فى القرآن فان الله تعالى لم يستر عن عباده صفاته واسماءه فعليك أن تعتقد ان لا اله الا الله وان الله حى عالم قادر سميع بصير جبار متكبر

---

(١) ص ٢/٥٩ج الرسالة الوعظية لابى حامد الغزالى ، ضمن مجموعة القصور المعالى من رسائل الامام الغزالى تحقيق محمد مصطفى ابو العلا .

قدوس ليس كمثله شيء الى جميع ماورد فى القرآن واتفق عليه الأئمة فذلك كاف فى صحة الدين وان تشـــابه عليك شيء فقل : آمنا بهكل من عند ربنا ،واعتقدكل ماورد فى اثبات الصفاتونفيها على غاية التعظيم والتقديس مع نفى المماثلة واعتقاد انه ليس **كمثله شيء وبعد هذا لاتلتفت الى القيل والقالفانك غير مأمور به** ولا هو على حـــد طاقتك فان اخذ يتحذلق ويقول عليـــه وقد اختلفت الأشعرية والمعتزلة فقد خرج بهذا عن حد العوام اذ العامى لا يلتفت قلبه الى مثل هذا ما لم يحركه شـــيطان الجدل فان الله لايهلك قوما الا يؤيتهم الجدل كذك ورد الخبر » (١) .

ويقول الحافظ ابن حجر « فتح البارى » : والصـــــواب الامساك عن أمثال هذه المباحث والتفويض الى الله فى جميعها والاكتفاء بالايمان بكل ما أوجب الله فى كتابه أو على لســـان نبيه له أو تنزيهه عنه عن طريق الاجمال » (٢) .

ويقـــول العلامة الألبانى فى مقـــدمته الرائعة لمختصر العلو مانصه : أنى أعتب أشد العتب على الكتاب الاسلاميين اليوم — الا القليل منهم — الذين يكتبون عن الاســـلام كل شيء ماعدا العقيدة السلفية والطريقة المحمدية وأخص بالذكر منهم أولئك الذين يتولون توجيه النشيء الجديد الى الاســـــلام وتربيتهم بتربيتـــه وتثقيفهم بثقافتـــه فانهم لايحاولون مطلقا ان يوحدوا مفاهيمهم حول الاسلام الذى اختلف فيه أهله أشد الاختلاف لا كما يظن بعض المغفلين أو المتغافلين ان الخلاف بينهـــم فى الفروع فقط دون الاصول ..

---

(١) ج ٦٣/١ — ٦٤ ضمن مجموعة القصور العوالى .
(٢) « فتح البارى » ٣٨٢/١٣ .

ثم قال فى المقدمة نفسها :

ولقد تنبه لهذا اخيرا بعض الدعاة الاسلاميين ، فهذا هو الاستاذ الكبير سيد قطب رحمه الله تعالى ، فانه بعد أن قرر تحت عنوان « جيل قرآنى فريد » ان هـــذه الدعوة اخرجت جيلا مميزا فى الاسلام كله وفى تاريخ البشرية جميعه وانها لم تعد تخرج من ذلك الطراز مرة اخرى، تساءل عن السبب مع أن قرآن هذه الدعوة لايزال وحديث الرسول ص وهدية العملى وسيرته الكريمة كلها بين ايدينا كما كانت بين يدى ذلك الجيل الاول ولم يغب الاشخص رسول الله ص فأجاب بأنه : ثم نقل الالبانى عن الشهيد سيد كلاما طويلا ، اخترت منه عدة سطور لاننى وجدت فيها مختصر كلامه السابق ، يقول رحمه الله :

كان رسول الله ص يريد صنع جيل خالص القلب خالص العقل خالص التصور خالص الشعور خالص التكوين من أى مؤثر آخر غير المنهج الالهى الذى يتضمنه القـــرآن الكريم . ذلك الجيل استقى اذن من ذلك النبع وحده فكان له فى التاريخ ذلك الشأن الفريد ثم ما الذى حدث ؟ .

اختلطت الينابيع ! صبت فى النبع الذى استقت منه الاجيال التالية فلسفة الاغريق ومنطقهم واساطير الفرس وتصوراتهم واسرائيليات اليهود ولاهوت النصارى وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات واختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم وعلم الكلام كما اختلط بالفقة والاصول ايضا وتخرج على ذلك النبع المشوب سائر الاجيال بعد ذلك الجيل فلم يتكرر ذلك الجيل ابدا . الى ان قال : نحن اليوم فى جاهلية كالجاهليـــة التى عاصرها الاسلام او اظلم كل ماحولنا جاهلية .. تصورات

الناس وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم مـــوارد ثقافتهم ، فنونهم وآدابهم ، شرائعهم وقوانينهم . حتى الكثير مما تحسبه ثقافة اسلامية ومراجع اسلامية فلسفة اسلامية وتفكيرا اسلاميا هو كذلك من صنع هذه الجاهلية .

لذلك لا تستقيم قيم الاسلام فى نفوسنا ولا يتضح تصـــور الاسلام فى عقولنا ولا ينشأ فينا جيل ضـــخم من الناس من ذلك الطرز الذى أنشأه الاسلام أول مرة .

فلابد اذن فى منهج الحركة الاسلاميـــة أن نتجـــرد فى فترة الحضانة والتكوين من كل المؤثرات الجاهلية التى نعيش فيها ونســـتمد منها لابد أن نرجع ابتـــداء الى النبع الخالص الذى استمد منه أولئك الرجال النبع المضمون الذى لم يختلط ولم تشبه شائبة ، نرجع اليه نستمد منه تصورنا لحقيقة الوجود كله ولحقيقة الوجود الانســـانى ولكافة الارتباطات بين هذين الوجودين وبين الجود الكامل الحق : وجود الله سبحانه ومن ثم نستمد تصوراتنا للحياة وقيمنا واخلاقنا ومفاهيمنا للحـــكم والسياسة والاقتصاد وكل مقومات الحياة . ثم لابد لنا من التخلص من ضغط المجتمع مع الجاهلية والتصورات الجاهلية والتقاليد الجاهلية فى خاصـــة نفوســـنا ، ليســـت مهمتنا ان نصطلح مع واقع هـــذا المجتمع الجاهلى ولا ان ندين بالولاء له فهو بهذه الصفة صفة الجاهلية غير قابل لأن نصطلح معه . ان مهمتنا ان نغير أنفسنا أولا لنغير هذا المجتمع اخيرا .

وسنلقى فى هذا عنتا ومشـــقة وستفرض علينا تضحيات باهظة ولكننا لسنا مخيرين اذا نحن شئنا أن نسلك طريق الجيل

الأول الـــذى أقـــر الله منهجـــه الالهي ونصره على منهـــــج الجاهلية » (١) .

واسوق فى نهاية هذا المبحث قول العلامة الشـــوكانى فى تفسيره عند آية ســـورة الاعراف « رب أرنى أنظـــر اليك » بعد ان ناقش منكرين رؤية الله تعالى فى الآخرة ثم قال : ولكن الاعتقاد لمذهب نشأ الانسان عليه وادرك عليه آباءه واهل بلده مع عدم التنبيه لما هو المطلوب من العباد لهذه الشريعة المطهرة يوقع فى التعصب ، والمتعصب وان كان بصره صحيحا فبصيرته عمياء ، وأذنه عن سماع الحق صماء يدفع الحق وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل ويحسب مانشأ عليه هو الحق غفلة منه وجهلا بما أوجبه الله عليه من النظر الصحيح وتلقى ماجاء به الكتاب والسنة بالاذعان والتسليم ، وما أقل المنصفين بعد ظهور هذه المذاهب فى الاصول والفروع فانه صار بها باب الحق مرتجا وطريق الانصاف مستوعرة والامر لله سبحانه والهداية منه .

يأبى الفتى الا اتباع الهوى ومنهج الحق له واضح (٢)

وقد وقفت على عبارة لطيفة للامام أحمد رحمه الله ، ذكرها أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمى فى اعتقاد الامام أحمد . فقال : وكان دعاؤه فى سجوده « اللهم من كان من هذه الأمة على الحق وهو يظن أنه على غير الحق فرده الى الحق ليكون من أهل الحق » (٣) .

---

(١) انظر مقدمة شيخنا لالبانى لمختصر العلو ص ٥٧ وما بعدها .
(٢) تفسير فتح القدير ٢/٢٣١ .
(٣) طبقات الحنابلة لابن أبى يعلى ج ٢ ص ٣٠٧ .

أخى القارىء ، أرجو الله تعالى ان أكون قد وفقت فى هذا البحث الموجز لبيان جانب الصواب فى هذه المسألة التى لابد لكل مسلم أن يكون معتقده فيا موافقا ومطابقا لما كان عليه سلف هذه الأمة ، لان العودة الى هذه العقيدة هى المؤشر الصحيح **الذى يعنى اننا جادون حقا فى العودة الى حقائق هذا الدين .**

كما أرجو من الذين لايعجبهم هذا الكلام أن يفتحوا قلوبهم للحقيقة ويرتفعوا عن النظـــرة الضيقة والخصـــومات المقيتة **المتوارثة التى لم ينتج عنها سوى ما يوقع الفرقة ويثير البغضاء ويرضى الشيطان ويفرح أعداء الاسلام .**

نسأل الله تعالى ان يهدينا الصراط المستقيم ويمن علينـــا بالثبات عليه . سبحانك اللهم وبحمـــدك ، لا الـــه الا أنت ، أستغفرك وأتوب اليك .

وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين . والحمد لله رب العالمين .

مراجع البحث

- * **الابانة عن أصـــول الديانة**
  أبو الحسن الأشعرى ـــ ط
- * **الابانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة .**
  خ ـــ لأبى عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبرى
- * **اثبـــات الفوقية والاستواء**
  ط ضمن مجموعة الرسائل المنيرية
- * **اجتماع الجيوش الاســـلامية**
  ط الامام ابن القـــيم **دار المعـــرفة**
- * **الأســـماء والصـــفات** ط البيهـــــقى
- * **الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** ط ـــ الســـخاوى
- * **اعلام الساجد بأحكام المساجد** ط ـــ الـــزركشى
- * **اضـــواء البيـــان** ط ـــ الأمين الشـــنقيطى
- * **أقاويل الثقـــات** خ ـــ الشيخ مرعى الكرمى المقدس
  دار الكتاب العـــربى
- * **ايثار الحق على الخلق** لابن المرتضى ـــ ط
  دار الكتب العلمية ـــ لبنان
- * **تاويل مختلف الحديث** ط ـــ ابن قتيبـــة
  مكتبة الكليات الازهرية
- * **تبيين كذب المفـــترى** ط ـــ الحافظ ابن عساكر
  دار الكتاب العـــربى
- * **التحفة المهدية فى شرح التدمرية** ط ـــ فالح بن مهـــدى
- * **تفســـير الكشاف** ط ـــ الزمخشـــرى
- * **القـــرآن العظـــيم** ط ـــ ابن كثـــير
- * **تلبيس ابليـــس** ط ـــ ابن الجوزى ـــ تحقيق الوائلى
  دار الوعى ـــ لبنان

١٨ - * **التوحيد واثبات صفات الرب** لامام الأئمة ابن خزيمة
تحقيق : خليل هراس

١٨ - * **حاشية الصاوى على الجلالين**

١٩ - * **الحجة فى بيان المحجبة**
خ ــ الشيخ ابو اسماعيل الأصفهانى التيمى

٢٠ - * **الحـــــــلية** ط ــ الحافظ ابو نعيم الأصبهانى
دار الفكر العـــربى

٢١ - * **خصائص التصور فى القرآن الكريم** ط ــ سيد قطب

٢٢ - * **خلق أفعـــال العبـــاد** ط ــ الامام البخـــارى
تحقيق : النشار والطالبى

٢٣ - * **الدر المنثور فى التفسير بالمأثور**
ط ــ الســـــيوطى
الناشر امين دمج ــ لبنان

٢٤ - * **دراسات فى منهج الأسماء والصفات**
ط ــ الأمين الشنقيطى
مؤسسة مكـــة

٢٧ - * **ذم التـــــــأويل**
ط ــ لابن قدامـــة المقدسى

٢٦ - * **ذيل طبقات الحنـــابلة**
ط ــ لابن رجب الحنبـــلى
الناشر : دار المعرفة ــ لبنان

٢٧ - * **الرد على الجهميـــة**
ط ــ الامام أحمد بن حنبل
تحقيق النشار والطالبى

٢٨ - * **الرد على الجهميـــة**
ط ــ عثمان بن سعيد الدارمى
تحقيق النشار والطالبى

- الرد على المبتدعة — خ — ابن البناء
  مركز البحث العلمى بمكة
- رسالة اهل الثغر — خ — للامام ابى الحسن الاشعرى
  نسخة تركيا
- رسالة فى الاعتقاد — خ — لابن أبى زمنين
  نسخة تركيا
- الرسائل الكبرى — ط — لشيخ الاسلام ابن تيمية
  احياء التراث العربى — لبنان
- شرح السنة — ط — للبغوى
  المكتب الاسلامى
- شرح اصول السنن — خ — الامام اللالكائى
  مركز البحث العلمى بمكة
- شرح حديث النزول — ط — ابن تيمية
  مركز البحث العلمى بمكة
- شرح العقيدة الطحاوية — ط — لابن أبى العز الحنفى
  المكتب الاسلامى
- الشريعة — ط — للامام أبى الحسين الآجرى
  تحقيق : حامد الفقى
- الصفات — خ — الدارقطنى
- طبقات الحنابلة — ط — لابن أبى يعلى
  دار المعرفة — لبنان
- العقائد — خ — لابن كثير الدمشقى
  مركز البحث العلمى بمكة
- عقيدة المسلم — ط للشيخ محمد الغزالى السقا
- العلل
  خ — للامام الدارقطنى
  مكتبة الشيخ عبد الرحيم صديق

٤٢ - * العـــــــلو ط ــ للذهـــــبى
تحقيق : عبد الرحمن عثمان

٤٣ - * الغنيـــــــة
ط ــ للامام عبد القادر الجيلانى ــ الطبعة الثالثة ١٩٥٦م

٤٤ - * سنن أبى داود **تحقيق : محيى الدين عبد الحميد**

٤٥ - * سنن ابن مـــاجة **تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى**

٤٦ - * سنن الترمـــذى **تحقيق : ابراهيم عطـــوة**

٤٧ - * سنن الدارمى **نشر دار احياء السنة النبوية**

٤٨ - * سنن النســـائى مع حاشية السيوطى
دار الفكـــر ــ لبنـــان

٤٩ - * السنن الكـــبرى للبيهـــــقى
دار الفكـــر ــ لبنـــان

٥٠ - * صحيح مســـلم
تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى

٥١ - * فتح البـــارى للحافظ ابن حجر ط ــ السلفية

٥٢ - * الفقـــه الأكـــبر للامام أبى حنيفـــة
دار الكتب العلمية ــ بيروت

٥٣ - * كشف الخفـــا ط ــ للعجـــــلونى
مكتبـــة القدسى

٥٤ - * لمعـــة الاعتقـــاد ط ــ لابن قدامة المقدسى

٥٥ - * لوامع الانوار البهية
ط ــ للسفار ينى ــ مطبعة المنار ١٣٢٣هـ
مطبعة المنـــار

٥٦ - * مجموع فتاوى شيخ الاسلام
ابن تيمية ط ــ الرياض

٥٧ - * مسند الامام احمـــد
المكتب الاســـلامى

٥٨ - * **مسائل الامـــام احمد**
لأبى داود السجستانى
٥٩ - * **المســـــتدرك**
لأبى عبد الله الحاكم
نشر : دار الفكر ــ بيروت
٦٠ - * **المعجم الكبـــير**
لأحمد بن سليمان الطبرانى
تحقيق : حمدى عبد المجيد
٦١ - * **المنخول فى الاصـــول**
ط ــ لأبى حـــامد الغزالى
تحقيق : د. حسن هيتـــو
٦٢ - * **مناقب أحمـــــد**
ط ــ ابن الجـــــوزى
تحقيق : د. عبد الله التركى
٦٣ - * **موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول**
ط ــ ابن تيميـــــــة
٦٤ - * **ميزان الاعتـــــدال**
ط ــ للذهـــــــبى
تحقيق : على محمد البجاوى
٦٥ - * **نقض الدارمى على المريس**
ط ــ عثمان بن سعيد الدارمى
تحقيق : النشار والطالبى
٦٦ - * **الملل والنحـــــل**
للشهرستانى
تحقيق سيد الكيلانى

الفهرس

١ — ٥ المقدمة — سبب تأليف الرسالة — الفائدة من بحث هذا الموضوع .
٦ — ميزات العقيدة السلفية .
الميزة الاولى : تبتعد بالمسلم عن الشكوك والاوهام .
٧ — خطأ من أوجب معرفة علم الكلام .
٩ — تراجع فحول المتكلمين عما كانوا عليه وحضهم الناس على السنة .
١٠ — قول أبى الوفاء ابن عقيل : أقطع بأن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض .
١١ — الميزة الثانية : تجعل المسلم معظما لنصوص الكتاب والسنة .
١٦ — الغلو فى التأويل يفقد النصوص هيبتها .
الميزة الثالثة : تربط المسلم بسلف هذه الامة العظيم .
١٧ — من هم الطائفة المنصورة .
الميزة الرابعة : القرآن حض على ضرورة الالتزام بما كان عليه المسلمون السابقون .
الميزة الخامسة : تحقق للمسلمين بعض الصفات التى ارتضاها الله تعالى لهم .
٢٠ — دور العقل البشرى فى العقيدة .
٢١ — مجالات انطلاق العقل البشرى .
٢٢ — فهم السلف لدور العقل ازاء العقيدة .
الميزة السادسة : توحد صفوف المسلمين .
الميزة السابعة : التمسك الكامل بسنة النبى صلى الله عليه وسلم .
الميزة الثامنة : تجنب المسلم هلكة الخوض فى الالهيات .
٢٦ — بعض الاسس التى اعتمد عليها السلف فى اثبات الصفات .
٢٨ — الرد على دعوى : ان مذهب السلف فى الصفات هو التفويض .
٢٨ — نصوص الكتاب والسنة انما جاءت بالاثبات .
٣٠ — بعض الآثار عن الصحابة والتابعين تدل على اثبات الصفات .
٣٠ — قول أم سلمة فى الاستواء .
٣٠ — قول عائشة فى اثبات العلو .
٣٠ — قول عمر بن الخطاب فى اثبات العلو .
٣١ — أبيات لابن رواحة فى اثبات العلو .
٣١ — حديث عمران بن الحصين فى ذلك .
٣٢ — قول زينب بنت جحش فى ذلك .
٣٢ — قول ابن عباس فى ذلك .

٣٤ ـ كلام هام لعبد الرحمن بن القاسم فى الصفات .
٣٤ ـ نقل الأوزاعى مذهب الـ تابعين فى الصفات .
٣٤ ـ نقول كثيرة عمن صنف فى العقيدة فى ان مذهب السلف الاثبات .
٣٥ ـ مقالة الترمذى فى سننه .
٣٧ ـ مقالة ابى حنيفة فى الفقه الاكبر .
٣٨ ـ نقول أخرى عن التابعين ومن بعدهم فى الصفات .
٤٠ ـ من صنفوا فى العقيدة جعلوا احاديث الصفات ابوابا فى كتبهم .
٤١ ـ آخر مؤلفات ابى الحسن الاشعرى فى العقيدة .
٤٥ ـ المحدثون يبوبون فى اثبات احاديث الصفات .
٤٦ ـ الاشعرى فى « رسالته لاهل الثغر » يقرر فيها الاثبات .
٤٦ ـ ابن عبد البر ينقل الاجماع على ان مذهب السلف اقرار الصفات .
٤٦ ـ ابن خزيمة ينقل الاجماع على ان مذهب السلف اقرار الصفات
٤٧ ـ مقالة الخطيب البغدادى فى الصفات .
٤٧ ـ ابن قدامة ورايه فى الصفات .
٤٨ ـ كلام هام للجوينى والد امام الحرمين فى اثبات الاستواء والرد على المفوضة
٤٨ ـ الشهرستانى فى « الملل » ذكر أن مذهب السلف الاثبات .
٤٨ ـ كلام هام لابن شيخ الجزامين فى الرد على المفوضة .
٥٠ ـ شارح العقيدة الطحاوية يرد على المفوضة .
٥١ ـ كلام المفسرين فى آيات الصفات وتاييدهم لها بالاحاديث .
٥٢ ـ لم يثبت ان احدا من السلف صرح بما يخالف الاثبات .
٥٢ ـ اجماع السلف على أن من نفى الصفات او بعضها عد جهميا معطلا .
٥٢ ـ المحاذير التى ترد على القائلين بان مذهب السلف التفويض .
٥٢ ـ بعض الاضرار الناتجة عن القول بالتفويض واثره فى شـــط بعض الفرق .
٦٩ ـ شبهة والرد عليها .
٦٩ ـ معنى « امروها كما جاءت » .
٧٠ ـ الامرار لا تتنافى مع الاثبات والاقرار .
٧٠ ـ السلف يمرون كيفية الصفة لا معناها .
٧٠ ـ من نقل عنهم انهم قالوا : امروها .. » صرحوا بالاثبـــات فى اماكن أخـــرى .
٧١ ـ معنى ترك تاويل نصوص الصفات عند السلف .
٧٣ ـ خلاصـــــة فى ذلك .
٦٥ ـ معنى الاثبات عند السلف هو كقول مالك : الاستواء معلوم .
٦٥ ـ التفويض عند السلف هو كقول مالك : الكيف مجهول .
٧٤ ـ تحليل رائع لابن تيمية حول عبارة مالك فى الاستواء .
٧٥ ـ الشهرستانى من اوائل من ادعى ان مذهب السلف التفويض .
٧٦ ـ رد على الشهرستانى والرازى .

٧٦ ـ اضطراب مذهب ابن الجوزى فى الصفات .
٧٧ ـ رد ابن العلئى عليه وهو ممن عاصره .
٧٨ ـ رد ابن قدامة عليه .
٧٨ ـ ابن تيمية يوضح منهج ابن الجوزى فى الصفات .
٧٩ ـ شبهة أخرى للموضة .
٨٠ ـ أقوال المفسرين فى قوله تعالى « ما يكون من نجوى ثلاثة .. .. » .
٨١ ـ أقوال المفسرين فى قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) .
٨٣ ـ اقوال المفسرين فى قوله تعالى (وهو الله فى السموات وفى الأرض) .
٨٣ ـ القرآن يفسر بعضه بعضا والسنة تفسر القرآن .
٨٤ ـ احاطة الله تعالى بالمخلوقات انما هى احاطة بالعلم لا بالذات .
٨٧ ـ اجماع السلف على ان علم الله فى كل مكان .
٨٩ ـ موقف السلف السابق ليس فيه تاويل للآيات .
٩١ ـ كلام المحاسبى فى أن الصفات لا يدخلها النسخ .
٩٢ ـ اللوازم الفاسدة من القول بان الله فى كل مكان .
٩٣ ـ بعض الأدلة العقلية فى الرد على ذلك .
٩٥ ـ معنى قول السلف « الله فى السماء » .
٩٦ ـ السماء لا تحيط بالله تعالى ولا تضمه ولا تحويه .
٩٧ ـ اليهود والجهمية ما قدروا الله حق قدره .
٩٩ ـ حديث « الحجر الاسود يمين الله » فيه كذاب وهو من كلام ابن عباس .
٩٩ ـ مدار هذا الحديث على اسحاق بن بشر الكاهلى وهو متهم .
١٠٠ ـ كلام جيد للشيخ فالح آل مهدى حول الحديث السابق .
١٠١ ـ مذاهب الحنابلة فى الصفات .
١٠١ ـ بعض الأدلة على أنهم على مذهب السلف وليسوا مجسمة وفيهم اشاعرة .
١٠٢ ـ انتساب الاشعرى لأحمد فى العقيدة .
١٠٣ ـ عشرات الكتب فى العقيدة للحنابلة فيها الرد على المجسمة .
١٠٣ ـ لماذا صار الامام أحمد أمام أهل السنة .
١٠٤ ـ شهادة الذهبى الشافعى فى عقيدة الحنابلة .
١٠٥ ـ صلة ابن تيمية بالعقيدة السلفية .
١٠٥ ـ خلو مصنفاته من مخلفات لعقيدة السلف .
١١١ ـ كبار المفكرين الاسلاميين المعاصرين ينددون بعلم الكلام .
١١١ ـ رأى الشهيد سيد قطب .
١١٢ ـ رأى الداعية محمد الغزالى .
١١٤ ـ الدعوة الى عقيدة السلف تجمع ولا تفرق .
١١٤ ـ رد أبو القاسم الاصبهانى على من زعم أنها تورث التقاطع والتدابر .
١١٥ ـ السبب فى ابتعاد كثير من المتاخرين عن عقيدة السلف .

١١٥ ــ اعتراف هام من الدكتور النشار حول موقف « الأزهر » .
من دراسة عقيدة السلف .
١١٦ ــ صفات الرحمن يحبها الرحمن .
١١٧ ــ لم تذكر صفة الاستواء فى القرآن الا مقرونة بغيرها من صفات الكمال والجلال .
١١٨ ــ تحريف الصفات قد يكون كفرا .
١١٨ ــ نصيحة قيمة للعلامة الأمين الشنقيطى ــ للماولين .
١١٨ ــ كلام نفيس للامام الجيلانى فى تقرير عقيدة السلف .
١٢٠ ــ ١٢٢ ــ ابن القيم يلزم الذين أولوا صفات الله تعالى بما لا حيلة لهم الى دفعه .
١٢٣ ــ هل كل مسلم مكلف باثبات الصفات لله تعالى .
١٢٥ ــ حيدة الكتاب الاسلاميين عن الكتابة فى توحيدة الاسماء والصفات .
١٢٧ ــ كلام هام لسيد قطب حول ضرورة الرجوع الى نبع الاسلام الصافى .
١٢٨ ــ المخالف فى العقيدة يدفع الحق وهو يظن انه يدفع الباطل .
١٢٩ ــ العودة الى عقيدة السلف هى المؤشر الصحيح على سلامة الاتجاه .
١٣٠ ــ ١٣٤ ــ مراجع البحث .

بقوله: «قيل له علمه عز وجل والله على عرشه وعلمه محيط بهم وبكل شيء من خلقه كذا فسره أهل العلم والآية تدل أولها وآخرها على أنه العلم، فابتدأ الله عز وجل الآية بالعلم وختمها بالعلم فعلمه عز وجل محيط بجميع خلقه وهو على عرشه وهذا قول المسلمين»[1].

وقد استدل بعض أهل السنة في الرد على القائلين أن الله تعالى في كل مكان، وأنه ليس في السماء ببعض الأدلة العقلية، ومن ذلك قول الإمام أحمد أمام أهل السنة رحمه الله تعالى: «إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان، فقل: أليس الله كان ولا شيء، فيقول: نعم، فقل له: حين خلق الخلق خلقه في نفسه أو خارجاً من نفسه، فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال لا بد له من واحد منها.

إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر، حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه.

وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا كفراً أيضاً حين زعم أنه دخل في مكان وحش قذر ردىء.

وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع وهو قول أهل السنة» اهـ[2].

وقال أيضاً: «وقلنا للجهمية حين زعموا أن الله في كل مكان، فقلنا: أخبرونا عن قول الله جل ثناؤه: ﴿**فلما تجلى ربه**

---

(١) انظر «الشريعة» للآجري من ص ٢٨٥ـ ٢٨٨.

(٢) الرد على الزناقة والجمهية للإمام أحمد ص ٩٦.

للجبل﴾ لم يتجلى للجبل إن كان فيه بزعمهم؟ فلو كان فيه كما تزعمون لم يكن يتجلى لشيء هو فيه، ولكن الله جل ثناؤه على العرش وتجلى لشيء لم يكن فيه ورأى الجبل شيئاً لم يكن رآه قبل ذلك».

«وقلنا للجهم: لله نور؟ فقال: هونور كله، فقلنا: فالله، قال: **﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾**. فقد أخبر الله جل ثناؤه أن له نوراً، فقلنا: أخبرونا حين زعمتم أن الله في كل مكان وهو نور. فلم لا يضيء البيت المظلم من النور الذي هو فيه إن زعمتم أن الله في كل مكان؟ وما بال السراج إن أدخل البيت يضيء؟ فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله تعالى».

كما قرر العلامة ابن القيم في معرض تفنيده لهذه الفرية بأن ما زعموه من أن الله تعالى في كل مكان فراراً من القول بأنه في السماء وعلى العرش استوى ـ فوقعوا فيما فروا منه وذلك بحصرهم الإله الكبير المتعال في كل هذه الأمكنة المخلوقة فقال في نونيته مشيراً إلى هذا المعنى:

نزهتموه بجهلكم عن عرشه وحصرتموه في مكان ثان

معنى قول السلف إن الله في السماء

عندما آمن السلف أن الله تعالى في السماء كما صرحت بذلك النصوص الكثيرة الواردة في الكتاب والسنة لم يكونوا يعنون أن الله تعالى داخل السماء أو أن السماء تحيط به أو أنه حال بإحداها، بل معنى: إن الله تعالى في السماء، أي العلو، والسماء في اللغة يراد بها العلو.

قال الشيخ مرعي المقدسي: «والمراد بالسماء هنا ما فوق العرش لأن ما علا يقال له سماء»[1].

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في باب الاستواء: «وقال عز وجل: ﴿**أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض**﴾ فالسموات فوقها العرش وكلما علا فهو سماء وليس إذا قال: ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾ يعني جميع السموات وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، إلا أنه ذكر السموات فقال: ﴿**وجعل القمر فيهن نوراً**﴾ ولم يقل إنه يملأهن جميعاً. ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات فلولا أن الله على العرش لم

(١) أقاويل الثقات (ق ١١٣/١).

يرفعوا أيديهم نحو العرش»[1].

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي عند كلامه على الاستواء:

﴿أأمنتم من في السماء﴾ وأراد من فوق السماء كما قال: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ بمعنى على جذوع النخل وقال: ﴿فسيحوا في الأرض﴾ بمعنى على الأرض، وكلما علا فهو سماء والعرش أعلا السموات، فمعنى الآية أأمنتم من على العرش كما صرحت به سائر الآيات»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان ذلك[3]:

«ثم من توهم أن كون الله في السماء ـ بمعنى أن الله في السماء تحيط به ـ فهو كاذب إنْ نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربه وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحداً نقله عن واحد. ولو سئل سائر المسلمين: هل يفهمون من قول الله ورسوله «إن الله في السماء» أن السماء تحويه لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا.

وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه ثمَّ يريد أن يتأوله، بل عند المسلمين أن: معنى «الله في السماء وهو على العرش» واحد، إذ السماء إنما يراد به العلو فالمعنى: إن الله في العلو لا في السفل. وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وتعالى وسع

---

(١) الإبانة في أصول الديانة للإمام الأشعري ص ٣١٠ من مطبوعات الجامعة الإسلامية.

(٢) الأسماء والصفات ص ٢٩٩.

(٣) العقيدة الحموية الكبرى ص ١٥٨.

السموات والأرض وإن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته فكيف يتوهم ـ بعد هذا ـ أن خلقاً يحصره ويحويه؟ وقد قال سبحانه: ﴿**ولأصلبنكم في جذوع النخل**﴾ وقال: ﴿**فسيروا في الأرض**﴾ بمعنى على» اهـ.

وبهذا يتبين أن من زعم أنه يلزم السلف من قولهم «الله في السماء» إن السماء تضمه أو تحويه أو أنه في أحدها فقد جهل وضل وافترى على السلف ما لم يقولوه بل إنهم ردوا على هذا الزعم وعلى مثل هذا الوهم كما تبين من النصوص السابقة التي نقلناها.

ويقول الشيخ الباه الشنقيطي في منظومة له:

في موهم التشبيه في التنزيل وفي الحديث احذر من التأويل
فاصرفه عن ظاهره كالجارحة الإجماع فيه بالنصوص الواضحة
أما بقاؤه على الظواهر من غير تشبيه فغير ضائر
كالاستواء ليس بالمجهول ولم يك الكيف من المعقول
فقل على العرش وفي السماء والقول بالجهة غير ناء
وصفة الخالق للذات تبع وليس في معرفة بها طمع
وصفة الحادث بالإدراك وليس ثَمَّ غير الاشتراك
لفظاً فقط لا غير والوصفان في غير ذاك متباينان

بل إن هؤلاء الذين يفترون على مذهب السلف قد ضلوا وجهلوا وما قدروا الله حق قدره، لأن السموات السبع والأرضين وسائر المخلوقات من أمكنة وأزمنة أين هي من الإله الكبير المتعال فقد أخرج الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من اليهود فقال:

إنه إذاكان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع والماء والثرى على إصبع والخلائق على إصبع ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك أنا الملك، فلقد رأيت النبي ﷺ يضحك حتى بدت نواجده تعجباً وتصديقاً لقوله ثم قال النبي ﷺ **﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾**[1].

فقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ ضحك تعجباً وتصديقاً لقول الحبر، يرد على من زعم أن النبي ﷺ قد أنكر على الحبر هذا واستدلوا بأن النبي ﷺ تلا قوله عز وجل **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾** لهذا الغرض. قال الإمام ابن خزيمة في كتابه «التوحيد» باب ذكر إمساك الله تبارك وتعالى اسمه وجل ثناؤه السموات والأرض وماعليها على أصابعه، جل ربنا عن أن تكون أصابعه كأصابع خلقه وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه وقد أجل الله قدر نبيه ﷺ عن أن يوصف الخالق الباريء بحضرته بما ليس من صفاته فيسمعه فيضحك عنده ويجعل بدل وجوب النكير والغضب على المتكلم به ضحكاً تبدو نواجذه تصديقاً وتعجباً لقائله، لا يصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته»[2].

وعقد الإمام الآجري في «الشريعة» باباً قال فيه: «باب الإيمان بأن الله عز وجل يمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع والجبال والشجر على أصبع والماء الثرى على أصبع

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٤٧٤ ومسلم باب صفات المنافقين رقم ١٩.
(٢) التوحيد ص ٧٦.

والخلائق كله على أصبع» اهـ[1].

ويؤكد هذا ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة، فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى، قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ إلينا، ثم ضحك حتى بدت نواجذه..» الحديث.

قال الحافظ ابن حجر معلقاً عليه: يريد أنه أعجبه إخبار اليهود عن كتابهم بنظير ما أخبر به من جهة الوحي وكان يعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه، فكيف موافقتهم فيما أنزل عليه»[2].

ويقول الإمام عبد العزيز بن الماجشون ـ نظير الإمام مالك ـ في الرد على من أنكر حديث القبضة: فوالله ما دلهم على عظم ما وصف به نفسه وما تحيط به قبضته إلا صغر نظيرها منهم عندهم، إن ذلك الذي ألقى في روعهم، وخلق على معرفته قلوبهم فما وصف الله من نفسه وسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه، ولم نتكلف منه ما سواه، لا هذا ولا هذا، ولا نجحد ما وصف، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف[3].

كما استدل المتكلمون على صحة مذهبهم في تأويل آيات

---

(١) الشريعة ص ٣١٨.

(٢) فتح الباري ١١/ ٣٧٤.

(٣) الفتاوي لشيخ الإسلام ٦/ ٥٦٤.

وأحاديث الصفات بدعواهم أن السلف قد أولوا حديث النبي ﷺ: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض». ونرد عليهم بما يلي:

متناولين أولاً درجة هذا الحديث من حديث الصحة والضعف. فقد أخرج الحديث أبو بكر بن خلاد في «الفوائد» وابن عدي، وابن بشران، والخطيب كلهم من طريق إسحاق بن بشير الكاهلي[1]. فقد عده ابن عدي والدارقطني ممن يضعون الحديث، وقال ابن الجوزي: حديث لا يصح، وقال ابن العربي: هذا حديث باطل فلا يلتفت إليه. وقد اختصرت هذا التخريج من كتاب «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» لمحدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

فاتضح إذاً أن هذا الحديث لا يُفْرحُ به لأن مداره على راو كذاب فلا يغتر بكثرة طرقه.

قال العلامة الشيخ فالح بن مهدي، في شرحه للتدمرية، معلقاً على هذا الحديث: «فمن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه إلا على من لا يتدبره، فإنه قال: «يمين الله في الأرض» وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم المطلق، فإن هذا اللفظ صريح في أن الحجر الأسود ليس هو من صفات الله، فالقيد بالأرض يدل على أنه ليس هو يده على الإطلاق فلا يكون اليد الحقيقية»[2]. قلت: ومما يدل على ذلك ويؤكده أن

---

(١) انظر ترجمته في ميزان الاعتدال للذهبي رقم ٧٤٠.

(٢) التحفة المهدية شرح التدمرية.. باختصار ص ١٢٥ ثم تبين لي أن هذا هو كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

القرامطة قد اقتلعوا الحجر الأسود وأخذوه معهم وبقي عندهم بضع سنوات.

وقد حكى أبو حامد الغزالي عن بعض الحنابلة أن الإمام أحمد لم يتأول إلا ثلاثة أشياء: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض» «وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن» «وأني أجد نفس الرحمن من قبل اليمين».

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك وبين أن هذه الحكاية كذب على الإمام أحمد فقال:

هذه كذب على أحمد ولم ينقلها أحد عنه بإسناد ولا يعرف أحد من أصحابه نقل ذلك عنه. وهذا الحنبلي الذي ذكر عنه أبوحامد مجهول لا يعرف، لا علمه بما قال ولا صدقه فيما قال»[1].

(١) مجموع الفتاوي ج ٥ ص ٣٩٨.

مذهب الحنابلة في الصفات

إن مذهب الحنابلة في الصفات لا يخرج عن مذهب السلف، فقد بذل الحنابلة جهداً كبيراً في الدفاع عن عقيدة السلف والدعوة إليها ونشرها، كما أن بعض أتباع المذاهب الأخرى المتبوعة قد ساهموا في هذا الصدد ولكنها كانت جهوداً فردية إنْ صح هذا التعبير. وذلك لأن الحنابلة قد ثبتوا على مذهبهم عقيدة وفقهاً بينما الآخرون قد اكتفوا باتباع المذهب من الناحية الفقهية وانتسبوا في العقيدة إما للأشعري أو الماتوريدي.

ولا يزال بعض الذين ورثوا عداوة مذهب السلف يشيعون بين الناس أن مذهب الحنابلة هو التجسيم، وهذه دعوى متهافتة وسأكتفي ببيان زيفها بنقل نصين لعالمين من علماء الحنابلة أحدهما متقدم وهو ابن أبي يعلى صاحب طبقات الحنابلة، والآخر هو السفاريني، من علماء القرن الثاني عشر الهجري.

قال ابن أبي يعلي في بيان معتقد الحنابلة:

«اعتقدوا أن صفات الباري سبحانه معلومة من حيث أعلم هو، غيب من حيث انفرد واستأسر، كما أن الباري معلوم من حيث هو مجهول ما هو، واعتقدوا أن الباري سبحانه استأثر بعلم حقائق صفاته ومعانيها عن العالمين وفارق بها سائر الموصوفين فهم بها مؤمنون وبحقائقها موقنون وبمعرفة كيفيتها جاهلون لا

يجوز عندهم ردها كرد الجهمية، ولا حملها على التشبيه كما حملتها المشبهة الذين أثبتوا الكيفية، ولا تأولوها على اللغات والمجازات كما تأولتها الأشعرية»[1].

وقال الشيخ محمد بن أحمد السفاريني في كتابه «لوامع الأنوار البهية»: «اعلم أن مذهب الحنابلة هو مذهب السلف فيصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فإن لله تعالى ذات لا تشبه الذوات متصفة بصفات الكمال التي لا تشبه الصفات من المحدثات، فإذا ورد القرآن العظيم وصحيح سنة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بوصف للباري جل شأنه تلقيناه بالقبول والتسليم، ووجب إثباته له على الوجه الذي ورد ونكل معناه للعزيز الحكيم ولا نعدل به عن حقيقة وصفه ولا نلحد في كلامه ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا نريد على ما ورد ولا نلتفت لمن طعن في ذلك وردَّ فهذا اعتقاد سائر الحنابلة كجميع السلف فمن عدل عن هذا المنهج القويم زاغ عن الصراط المستقيم وانحرف، فدع عنك فلاناً عن فلان وعليك بسنة ولد عدنان»[2].

وتكفي شهادة الإمام الأشعري لعقيدة الإمام أحمد، وأنه على مذهب السلف وهذا ما دعاه لأن ينتسب إليه في ذلك، فقد قال في مقدمة كتابه «الإبانة»: «قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا ﷺ وما روى

---

(١) طبقات الحنابلة ج ٢ ص ٢٠٩.

(٢) اللوامع ج ١/ ٩١.

عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضَّر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولمن خالف قوله مجانبون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ورفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم وخليل معظم وعلى جميع أئمة المسلمين»[1].

كما أن هناك عشرات المؤلفات في العقيدة لعلماء أجلاء من فحول الحنابلة، «كلمعة الاعتقاد» و «العلو» لابن قدامة المقدسي، وعقيدة عبد الغني المقدسي، ومؤلفات ابن تيمية، كالحموية والتدمرية والأصفهانية والقبرصية والمراكشية[2]. وشرح حديث النزول وغيرها.

ومن قبل ذلك كتاب السنة للإمام أحمد والسنة لابنه عبد الله ومسائل الأثرم، الخلال وابن هانىء وغيرهم من تلامذة الإمام أحمد، وإبانه ابن بطة الكبرى والصغرى وعشرات الكتب لعلماء حنابلة ليس فيها انحراف عن مذهب السلف في الصفات ولا مخالفة له، وكثير من هذه الكتب قد طبع ولله الحمد[3].

وهناك أفراد من علماء الحنابلة، زادوا في الإثبات على ما

---

(١) الإبانة ص ٨.

(٢) وقد حققت هذه الرسالة أنا والأخ الكريم الدكتور ناصر بن سعد الرشيد وقد تم طبعها بحمد الله تعالى..

(٣) أشير هنا إلى أنه توجد روايات في هذه الكتب لا تخلو من ضعف في أسانيدها لأنهم يجمعون كل الروايات في الموضوع الواحد الصحيح منها وغير الصحيح.

جاءت به النصوص فقالوا بلوازم بعض الصفات، فخالفوا بذلك النهج السلفي المعتمد وقد رد عليهم إخوانهم الحنابلة في ذلك، وفي كتابه «طبقات الحنابلة» وذيلة تجد صوراً لمثل هذا.

كما أن إمامة الإمام أحمد رحمه الله وتقدمه وشهرته في السنة والدعوة إلى مذهب السلف أمر معروف عنه ومشهور به وتكلم شيخ الإسلام ابن تيمية عن السبب في ذلك فقال:

الإمام أحمد رحمه الله لما انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله ﷺ أكثر مما انتهى إلى غيره وابتلي بالمحنة والرد على أهل البدع أكثر من غيره. كان كلامه وعلمه في هذا الباب أكثر من غيره فصار إماماً في السنة أظهر من غيره»[1].

وقال الذهبي وهو يتكلم عن الحنابلة ـ وهو شافعي ـ كما نقل ذلك عنه السخاوي في الإعلان بالتوبيخ: وقال عن الحنابلة: عندهم علوم نافعة وفيهم دين في الجملة ولهم قلة حظ في الدنياوبعض العلماء يتكلمون في عقيدتهم ويرمونهم بالتجسيم وبأنه يلزمهم وهم بريئون من ذلك والله يغفر لهم»[2].

وإلا فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة العلماء الصلحاء قال: المذهب لمالك والشافعي والظهور لأحمد بن حنبل. يعني أن الذي كان عليه أحمد عليه جميع أئمة الإسلام وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان وإظهار الحق ودفع الباطل ما ليس لبعض» [الفتاوي ٣/ ١٧٠].

---

(١) مجموع الفتاوي ٣/ ١٧٠.

(٢) الإعلان بالتوبيخ ص ٧٧.

صلة ابن تيمية بالعقيدة السلفية

لعله اتضح من خلال هذه الدراسة لمذهب السلف في الصفات أن إثبات الصفات لله سبحانه وتعالى هو مذهب سلف هذه الأمة المبارك من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم ممن اقتفى أثرهم واتبع خطاهم. ومذهب السلف في الصفات قد نقله لنا العلماء بكل دقة وأمانة عنهم جيلاً بعد جيل وطبقة بعد طبقة.

وإن شيخ الإسلام ابن تيمية هو أحد المجددين لهذا المذهب والعاملين على إحياء هذا المذهب بحماس وإخلاص منقطع النظير وليس هو من اختراعه أو ابتداعه كما زعم ذلك بعض الباحثين. وقد أُتيَ أكثر هؤلاء من عدم اطلاعهم على مذهب السلف وعدم متابعته في مظانه في كتبهم ومصنفاتهم ورسائلهم ولا سيما وقد طبع الآن قسم كبير منها.

وما كتبه ابن تيمية في هذا المجال من رسائل وفتاوى إنما هو تقرير لمذهب السلف ونقول عنهم ولندع ابن تيمية يقص علينا طرفاً من ذلك، يقول في مجموع الفتاوي: «ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا والإمام أحمد إنما هو مبلِّغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجيء به الرسول لم نقبله وهذه عقيدة

محمد ﷺ، وقلت مرات: قد أمهلت كل من خالفني في شيء منها ثلاث سنين فإن جاء بحرف واحد عن أحد من القرون الثلاثة التي أثنى عليها النبي ﷺ حيث قال: «خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك، وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة توافق ما ذكرته من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية وأهل الحديث والصوفية وغيرهم»[1].

كما أننا نطالب الذين يحاولون تشويه عقيدة ابن تيمية بوصفهم لها بالتشبيه والتجسيم لتنفير الناس منها، نطالبهم أن يتجهوا إلى كتبه ورسائله في العقيدة كرسالة «الحموية» و «التدميرية» و «الواسطية» و «المراكشية» و «شرح الأصفهانية» وغيرها ليتحققوا من كذب دعواهم وإن كل ما يشاع عن ابن تيمية في هذا الجانب إنما هو زور وكذب وادعاء واختلاق وكل دعواهم تنهار من أساسها وهكذا شأن الباطل كما قال الله تعالى: **﴿وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾**.

وهذه طلائع الشبيبة الإسلامية قد التزمت المنهج السلفي في معتقدها غيرمبالية بما يلحقها من اللوم والتقريع من بعض الشيوخ الذين جعلوا من أنفسهم أوصياء على تراث علم الكلام، واتخذوا من عداوة منهج السلف الصالح شعاراً يلتفون حوله.

---

(١) الفتاوي ٣/١٦٩.

ولذلك فلم يسع الإنصاف الشيخ أبا زهرة إلا أن يسجل كلمة حق في هذا الصدد فقال رحمه الله: «ومذهب ابن تيمية في العقائد هو مذهب جمهور المسلمين»[1].

(١) كتاب أحمد بن حنبل لأبي زهرة ص ٤٦٣.

موقف السلف من علم الكلام والجدال والخصومة في الدين

إن موقف السلف من علم الكلام ليس موقفاً متسرعاً أو موقفاً مرتجلاً كما يظن البعض بل إنه موقف يتسم بالدقة والحصافة ويتميز بالحرص الشديد على سلامة العقيدة من التعقيد والألغاز حتى تبدو العقيدة في صفائها محافظة على نقائها تبدو جلية أمام جماهير المسلمين على كافة المستويات، وربما يخطر ببال البعض إن ذم السلف لعلم الكلام يرجع إلى العجز عن التصدي لأهله وأربابه فأسرع إلى هذا النمط من الناس لأنقل إليهم كلمة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذ يقول: «السنة إنما سنها من علم ماجاء في خلافها من الزلل ولهم كانوا على المنازعة والجدل أقدر منكم».

وقد كتب إلى أحد عماله، أما بعد:

«فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة رسوله وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت سنته وكفوا مؤونته ثم اعلم إنه لم تكن بدعة قط إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها فعليك بلزوم السنة فإنها بإذن الله لك عصمة، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق فارض لنفسك بما رضي به القوم

لأنفسهم فإنهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى وبفضل ما فيه لو كان أحرى، فإنهم السابقون ولئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه ولئن قلت حدث بعدهم فما أحدثه إلا من خالف سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، ولقد تكلموا فيه بما يكفي ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر ولا فوقهم محسن لقد قصر عنهم أقوام فجفوا وطمح عنهم آخرون فغلوا وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم»[1].

وتواترت الأحاديث النبوية التي تنهى عن الجدال وكثرة السؤال والخوض فيما يورث الشبهات وما يولد الجرأة على رد الروايات ومن ذلك ما روي أنه ﷺ قال: «لا تجالسوا أهل القدر فإنهم الذين يخوضون في آيات الله عز وجل»[2].

ونهى ﷺ: «عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»[3].

وقال ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ: ﴿**ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم**

---

(١) تقدم تخريجه في أول الرسالة.

(٢) رواه الحاكم ١/ ٨٥ ومز السيوطي لصحته في الجامع الصغير، ٦/ ٣٨٩ «فيض القدير» ورواه ابن أبي عاصم في السنة (ق ٢٦/ ٢) واللالكائي (ق ٢٨/ ١) وابن بطة في الإبانة(ق ١٥١/) والأجري في الشريعة ص ٢٣٩ كلهم من حديث عمر مرفوعاً. وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح وطرقه كلها تدور على يحيى بن ميمون وقد كذبوه «العلل المتناهية» (ق ٤٠/ ١) ولكن الحافظ ابن حجر قال عن يحيى بن ميمون «صدوق» كما في التقريب ص ٣٨٠. كما ضعف الألباني في تخريج الطحاوية ص ٣٠٤.

(٣) رواه البخاري من حديث المغيرة بن شعبة ١١/ ٣٠٦.

خصمون﴾[1].

وخرج ﷺ يوماً على أصحابه وهم يقولون: ألم يقل الله كذا وكذا يرد بعضهم على بعض فكأنما فقىء في وجه حب الرمان فقال: «إنما أفسد على الأمم هذا فلا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم»[2].

وقال ﷺ: «المراء في القرآن كفر»[3].

وقال الزهري: «الاعتصام بالسنة نجاة»[4].

وقال أبو قلابة: «أياكم وأصحاب الخصومات فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون»[5].

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ٩/٦، وابن ماجة رقم ٤٨.

(٢) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حديث غريب ٦/٣٠٦، ورواه ابن ماجه رقم ٨٥، ورواه أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات كما في «الفتح الرباني» ١/١٤٤. وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات أثبات» مجمع الزوائد ١/١٥٦.
وصححه الألباني كما في تخريجه لشرح الطحاوية ص ٢٨٩.

(٣) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢/٢٢٣، وصححه ابن حبان كما في حاشيته شرح السنة للبغوي ١/ ٢٦٠، ورمز السيوطي لصحته في الجامع الصغير ٢/ ١٨٥.
ورواه أبو داود في سننه في باب النهي عن الجدال في القرآن.
ورواه الأجري في الشريعة ص ٦٧ وابن بطة في الإبانة (ق ١/٢٧) واللالكائي في شرح السنة (ق ١/٢٧) والسلفي في الطيوريات (ق ٢٤٧/ ٢) وعزاه صاحب كنز العمال للطبراني ١/٥٤٦.

(٤) رواه الدرامي ١/ ٤٥ وابن بطة في الإبانة (ق ٢/١٠٨) واللالكائي في شرح السنة (ق ١/٢٢) وذكره عياض في الشفا ٢/ ١٤.

(٥) رواه الأجري في الشريعة ص ٥٦، والبيهقي في الاعتقاد ص ١١٨ =

وقال رجل لابن عمر: «أرأيت أرأيت» فقال: اجعل أرأيت باليمن إنما هي السنن»[1].

وقال محمد بن الحنفية: «لا تقوم الساعة حتى تكون خصومة الناس في ربهم»[2].

وقال ابن سيرين: «ما كان الرجل مع الأثر فهو على الطريق»[3].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما اجتمع رجلان يختصمان في الدين فلا يفترقان حتى يفتريان على الله عز وجل»[4].

وقال مسلم بن يسار: «إياكم والجدال فإنها ساعة جهل العالم وفيها يبتغي الشيطان زلته»[5].

= والدارمي ١/١٠٨ واللالكائي (ق ٢/٣٠٣) والهروي في ذم الكلام (ق ١/٩٢) ورواه ابن البناء في الرد على المبتدعة (ق ١/٤) وذكره البغوي في شرح السنة ١/٢٢٧ وعزاه الشاطبي في الاعتصام لابن وهب ١/٨٣.

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (ق ٢/١٧٣) الهروي (ق ١/٣٧).

(٢) هذا الأثر ورد مرفوعاً من حديث أبي هريرة فقد أخرجه أبو نصر الديملي كما في الدر المنثور ٥/١٤١ وقد سئل الإمام الدارقطني عنه مرفوعاً فقال هو من قول محمد بن الحنفية غير مرفوع، وقال أبو العالية ذكرت ذلك لابن المديني ـ أي الكلام في رفعه ـ فقال؛ ليس هذا بشيء إنما الحديث حديث ابن الحنفية كما في «العلل للدارقطني» (ق ١/٤٧٧).

(٣) أخرجه الدارمي ١/٥٤، والأجرى في الشريعة ص ١٨ وابن بطة في الإبانة (١/١١٧٤) واللالكائي (ق ١/٢٠) وعزاه السيوطي للبيهقي في.

(٤) رواه ابن بطة في الإبانة (ق ١/١٧٤).

(٥) رواه الدارمي ١/١٠٩ الأجرى في أخلاق العلماء ص ٦٩ وابن بطة في الإبانة (ق ١/١٦٨) والهروى في ذم الكلام (ق ٢/٩٢).

وروى ابن بطة بإسناده قال: كتب أحدهم إلى أبي عبد الله رحمه الله كتاباً يستأذنه فيه أن يضع كتاباً يشرح فيه الرد على أهل البدع وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ويحتج عليهم فكتب إليه أبو عبد الله:

بسم الله الرحمن الرحيم: أحسن الله عاقبتك ودفع عنك كل مكروه ومحذور، الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ، وإنما الأمور بالتسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله أو سنة رسول الله لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم فإنهم يلبسون عليك وهم لا يرجعون فالسلامة إن شاء الله في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم فليتق الله امرؤ وليصر إلى ما يعود عليه نفعه غداً من عمل صالح يقدمه لنفسه ولا يكن ممن يحدث أمراً فإذا هو خرج منه أراد الحجة فيحمل نفسه على المحال فيه وطلب الحجة لما خرج منه بحق أو بباطل ليزين به بدعته وما أحدث، وأشد من ذلك أن يكون قد وضعه في كتاب قد حمل عنه فهو يريد أن يزين ذلك بالحق وبالباطل وأن وضح له الحق في غيره ونسأل الله التوفيق لنا ولك والسلام عليك».

وقال الزركشي: «ولهذا نهى السلف عن الكلام في ذات الله تعالى لأن كثرة النظر في ذلك تسقط مهابة الرب من القلب»[1].

---

(١) إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ١٣٠.

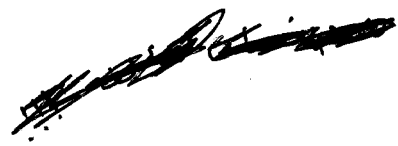

موقف المفكرين الإسلاميين من علم الكلام

ولا يزال هذا الموقف الحكيم تجاه علم الكلام يتكرر كلما وجد المجددون لهذا الدين، الذين يطالبون بإبعاد كل فكر غريب ومنطق دخيل عليه.

وقد أعجبت بنقد «سيد قطب» لعلم الكلام وقد كثرت انتقادت «سيد» لعلم الكلام في كثير من كتبه، واكتفي هنا بنقل نص له من كتابه الفذ «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» يقول رحمه الله[1]:

«ولما كانت هناك جفوة أصيلة بين منهج الفلسفة ومنهج العقيدة وبين أسلوب الفلسفة وأسلوب العقيدة وبين الحقائق الإيمانية الإسلامية وتلك المحاولات الصغيرة المضطربة المفتعلة التي تضمنتها الفلسفات والمباحث اللاهوتية البشرية فقد بدت «الفلسفة الإسلامية» ـ كما سميت ـ نشاذاً كاملاً في لحن العقيدة المتناسق، ونشأ من هذه المحاولات تخليط كثير شاب صفاء التصور الإسلامي وصغر مساحته وأصابه بالسطحية، ذلك مع التعقيد والجفاف، مما جعل تلك «الفلسفة الإسلامية» ومعها

(١) خصائص التصور الإسلامي.

مباحث علم الكلام غريبة غربة كاملة على الإسلام وطبيعته وحقيقته ومنهجه وأسلوبه.

وأنا أعلم أن هذا الكلام سيقابل بالدهشة ـ على الأقل ـ سواء من كثير من المشتغلين عندنا بما يسمى «الفلسفة الإسلامية» أو من المشتغلين بالمباحث الفلسفية بصفة عامة ولكني أقرره وأنا على يقين جازم بأن «التصور الإسلامي» لن يخلص من التشويه والانحراف والمسخ إلا حين نلقى عنه جملة بكل ما أطلق عليه اسم «الفلسفة الإسلامية». وبكل مباحث «علم الكلام» وبكل ما ثار من الجدل بين الفرق الإسلامية المختلفة في شتى العصور أيضاً: ثم نعود إلى القرآن الكريم[1] نستمد منه مباشرة مقومات التصور الإسلامي مع بيان خصائصه التي تفرده من بين سائر التصورات».

وسيد رحمه الله يدعو إلى مذهب السلف بالجملة ويحبذه وقد شنع على علم الكلام أيما تشنيع وأزرى بالمشتغلين به، وإنك تلحظ في أسلوبه الذي يتأجج حماساً كل الصدق في هذه الدعوة.

ولكن ـ والحق يقال ـ لم يكن يخوض في دقائق العقيدة السلفية، وإذا تعرض لشيء من ذلك فإنما يقع ذلك منه عرضاً. وقد كانت له في هذا المقام كبوات وهنات مغمورة في بحر علمه وجهاده ولكن لا بد من بيان القول الحق فيها لأن كلمة الحق هي التي ترضي الجميع كما أن فيها رضا الله قبل كل شيء، فالحق أكبر من كل أحد، والعصمة ذروة لا يصل إليها إلا

---

(١) والسنة النبوية الصحيحة.

أنبياء الله ورسله، والخطأ عندما يتصل بالدين لا يجوز السكوت عليه بحال، لأن الدين حق الله تعالى، وقد ندب الله تعالى العلماء إلى الذود عن دينه وأخذ عليهم العهود والمواثيق في بيان ذلك. وذلك لا يضر «سيد» ولا يغمز في علمه وفكره، فإن هناك علماء أجلاء كان بعضهم في القرن الرابع والخامس الهجري ولم تخل أراؤهم ومؤلفاتهم في العقيدة من خطأ فيها بالإضافة إلى أنهم متخصصون فيها.

ويقول الشيخ «محمد الغزالي» في مقدمة كتابه «عقيدة المسلم»: «فهل يبقى الكلام في العقائد وحدها حكراً على هذا النمط المزري من الحواشي والمتون؟ على أننا إذا تغاضينا عن الشكل وتعرضنا للجوهر بالنقد والتمحيص لا نلبث أن ندرك أن هذا الجانب الإلهي من الثقافة الإسلامية طغت عليه الفلسفات الغريبة التي نقلها السريان عن اليونان وغيرهم.

فإذا بعلوم العقيدة تتحول عن مجراها العتيد، وإذا بكتب التوحيد تزدحم باصطلاحات الفلاسفة وطرائق تفكيرهم، ويبدو أن الأسلاف الباحثين في هذه الناحية قد فتنهم الإعجاب بما نقله إليهم التراجمة من ثمرات العقل اليوناني ولذلك خلطوها خلطاً شديداً بتعاليم الدين.

ولسنا بصدد الحكم على قيمة هذا العمل وحكمته وإن كنا ننوه بدلالته على مدى الحرية التي منحها الإسلام أتباعه، وعلى أن الدائرة التي يعمل فيها العقل الإسلامي تسع العالم أجمع، فليست مغلقة على عصبية جنسية أو فكرة محلية.

غير أن عناصر العقيدة كادت تتيه وسط هذا الركام من النقول والأقيسة والمصطلحات فوجب تجميعها في نسق متقارب. ثم إن

غرسها في الأفئدة لن يثمر ويزدهر إلا بأسلوب الإسلام نفسه. ومن العجيب أنك تقرأ في أمهات الكتب الكلامية وتطوي الصفحات الطوال فلا تكاد تعثر على آية أو حديث إلا اقتباسات يسيرة تبدو كالزهرات المنفردة في الأرض السبخة.

وربما استراح عشاق البحث الفلسفي المجرد لهذه الكتب ولا عليهم لكن هذا لا يغنينا عن عرض العقيدة الخالصة بحقائق تتصل عن قرب بمصادرها الأولى:

﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾[1].

وروى ابن بطة بإسناده أن عطاء سئل عن شيء؟ فقال: «لا أدري، فقيل له: قل فيها برأيك، فقال: أني لأستحيى من الله أن يدان في أرضه برأيي»[2].

---

(١) ص ١٣ـ ١٤ عقيدة المسلم.

(٢) مختصر الإبانة الكبرى (ق ٣٨/ ١).

حقائق هامة

وأختم هذا البحث بالتنبيه على بعض الأمور الهامة التي لا بد من ذكرها. إننا عندما نقدم هذا البحث لا نقصد من ورائه تفريق الكلمة أو زعزعة الصفوف، بل نرى أن بيان ذلك فريضة لا مجال للتفريط فيها ولا مساومة عليها، لأننا نرى أن التفاف المسلمين على النهج السلفي في مسائل العقيدة من أهم ما يجب عليهم أن يعتنوا به ويحرصوا عليه في هذه الآونة لأن فيه القضاء الحقيقي على الخلافات التي مزقتنا شر ممزق، والادعاء بأن الصف الإسلامي خال من ذلك فيه تجاوز كبير وبالتالي فإن مثل هذه الادعاءات لا تخدم الواقع الإسلامي لأنها تبقى على عوامل الفرقة وأسباب الانقسام.

وربما يرى البعض في ذلك شيئاً من الغرابة لأن كتاب الله تعالى وحديث الرسول ﷺ موجودان بين ظهرانينا ففيم الخلاف إذن؟

والجواب على هذا يتبين بمعرفة أنه لا يوجد بين المسلمين من يرى الاستغناء عن الكتاب والسنة إلا ما كان من طائفة القرآنيين، هذه الفرقة الضالة التي ترى ترك السنة والأخذ بالقرآن فقط.

ومع هذا فإننا نرى المسلمين قد انقسموا إلى طوائف كثيرة

وفرق عديدة كلها تزعم أنها تتبع الكتاب والسنة حتى فرقة القاديانية على ضلالها وكفرها تزعم أنها تتبع الكتاب والسنة.

ولذلك تأتي أهمية وضرورة اتباع منهج السلف الصالح في فهمهم للكتاب والسنة، وبذلك ينجو المسلمون من الضلال ويقضون على أسباب التفرقة والانقسام فيكونون على عقيدة واحدة ومنهج واحد، هو الذي كان عليه الصحابة والتابعون قبل ظهور الفرق بين المسلمين، وما كان عليه الصحابة والتابعون هو سبيل المؤمنين المراد بقوله تعالى: **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾**.

وقد أخبر النبي ﷺ أن أمته ستختلف بعده إلى فرق كثيرة وطوائف متعددة واتجاهات مختلفة كثيرة ومدارس فكرية فبيَّن للمسلمين ما هو المخرج من كل ذلك وأنهم إذا كانوا عليه ويمَّموا وجوههم شطره فإنهم سيكونون على الهدى، فقال ﷺ: «فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ» فسنة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم أجمعين هي سبيل المؤمنين، وأن الحيدة عن ذلك وقوع في الضلالة والبدعة لا محالة. وهذا هو ما عناه النبي ﷺ بقوله في تتمة الحديث السابق: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار».

وهناك أدلة كثيرة تهيب بالمسلمين إلى تحري هذا المنهج السديد واتباعه والتمسك به ومن ذلك قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء فقيل من الغرباء فقال:

الذين يحيون ما أفسد الناس من سنتي»[1] كما هو في أحدى الروايات.

وهل يفسد الدين إلا إتِّباع البدع والركون إلى الهوى ففي الأثر عن غضيف بن الحارث الثمالي أنه قال: «لا تظهر بدعة إلا ترك مثلها من السنة»[2].

فالغربة عن الإسلام إنما تكون عندما يبتعد المسلمون عن سبيل السلف الصالح الذي فيه كل الهدى والصلاح والفلاح والنجاح.

وفي حديث «افتراق الأمة» بيَّن النبي ﷺ أهم ملامح الفرقة الناجية وحصرها بقوله: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

كما جاءت أحاديث كثيرة تبين للمسلمين الطريق الواضح الذي يجب عليهم أن يسلكوه إذا أصابهم الذل والوهن ووقع فيهم التحزب والتفرق والاختلاف، ومن ذلك قوله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تعودوا إلى دينكم». فالعودة إلى الدين الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ وكان عليه الصحابة والتابعون هو الذي ينشل المسلمين من كل هذه الأوباء والأمراض التي تفشت فيهم وصارت ديناً لديهم، أمَّا

---

(١) روى أصل الحديث مسلم ٢/ ١٧٦ والترمذي بلفظ قريب منه وقال حسن صحيح ٧/ ٢٨٨.

(٢) رواه الطبراني في الكبير والبزار وفي إسنادهم أبو بكر بن أبى مريم فيه مقال وقال الحافظ ابن حجر إسناده جيد، انظر مجمع الزوائد ١/ ١٨٨ والفتح الرباني.

العودة إلى دين الآباء والأجداد وعدم التحري الصحيح والجاد في كثير من الأمور التي يقال عنها إنها دين الله فليست هي العودة الصحيحة التي عناها النبي ﷺ في الحديث السابق.

وكذلك فقد نبه أئمة المسلمين إلى ضرورة اتباع ذلك. قال الحسن ابن أيوب البغدادي سمعت أبا عبد الله ـ أي الإمام أحمد ـ وقيل له: «أحياك الله يا أبا عبد الله على الإسلام، قال والسنة»[1].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلامّ: «المتبع للسنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم أفضل عندي من ضرب السيف في سبيل الله عز وجل»[2].

وأخرج الدارقطني بسنده أن عباد بن العوام قال: قدم علينا شريك بن عبد الله، فقلت له: إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث: «إن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا» و «إن أهل الجنة يرون ربهم» فحدثني شريك بنحو عشرة أحاديث في هذا ثم قال: أما نحن فأخذنا ديننا عن أبناء التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ فهم عمن أخذوا»[3]؟

فانظر كيف استدل رحمه الله تعالى على خطأ ما هم عليه من نفي أحاديث الصفات، بمخالفتهم سبيل المؤمنين وما كان عليه المتقدمون من المسلمين، كما بين شريك رحمه الله إن إثبات صفات الله تعالى التي جاءت في الأحاديث النبوية هي من

---

(١) طبقات الحنابلة ١/ ١٣١.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٢٦٢.

(٣) الصفات للدارقطني ق ٦/ ١.

الدين المأخوذ والمتلقى والموروث عن النبي ﷺ وأصحابه.

وإذا حقق المسلمون هذه العودة الكريمة وتمسكوا بأهداب العقيدة السلفية وقام فيهم هذا التغيير فستزول معه ـ بإذن الله تعالى ـ كثير من الخصومات والعداوات وستكون الوحدة الحقيقة للصف الإسلامي نابعة من وحدة العقيدة المتماسكة.

يقول الشيخ أبو القاسم إسماعيل الأصفهاني التيمي في معرض رده عن من زعم أن البحث في الصفات وما شابهها تورث التقاطع والتدابر والاختلاف: قال: «الجواب إن قلنا هذا في المسائل المحدثة وأما القول في هذه المسائل من شرط أصل الدين ولا بد من قبوله على نحو ما ثبت فيه النقل عن رسول الله ﷺ وأصحابه ولا يجوز لنا الإعراض عن نقلها وروايتها وبيانها لتفرق الناس في ذلك كما في الإسلام والدعوة إلى التوحيد وإظهار الشهادتين»[1].

والذين يقولون: لا نؤمن بأن لله يداً أو وجهاً أو عيناً لأن هذا بزعمهم يستلزم التركيب من أجزاء، وهذا إنما يكون في الأجسام.

فنقول لهؤلاء: إن هذا التصور منكم للذات العلية خطأ وضلال لأنه قائم ابتداء على قضية التشبيه ونابع من بؤرة التجسيم، تشبيه الله تعالى للمخلوقات ومماثلته للمصنوعات، والله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

كما أننا نتوجه لهؤلاء بهذا السؤال. ألستم تعتقدون معنا

---

(١) الحجة في بيان المحجة ـ لأبي القاسم الأصفهاني(ق ٦٦/ ١).

بأن الله تعالى ذاتاً؟ فيقولون: نعم، لأنهم لا يمكن أن ينفوا ذلك عن ربهم، فنقول لهم: هل تعرفون ذاتاً غير مركبة من أجزاء؟ فيقولون: نعم، هي ذات الله تعالى فقط، فنقول لهم: فكما آمنتم بأن لله تعالى ذاتاً غير مركبة من أجزاء وبدون معرفة لكيفية هذه الذات. فكذلك نحن نؤمن بصفات الله تعالى على هذا الأساس، وبهذا التصور الواضح السليم من كل تشبيه والخالي من كل تمثيل بين الله تعالى وبين خلقه. نؤمن بأن لله تعالى يداً ووجهاً كما آمنتم بأن له ذاتاً، ونؤمن باستوائه ورحمته ورضاه وفرحه وغير ذلك من صفات أفعاله كما آمنتم بإرادته ومشيئته، كل ذلك بدون أي اعتقاد منا لمشابهة هذه الصفات لصفات المخلوقين لا من قريب ولا من بعيد لأن الله تعالى أخبر عن نفسه بأنه: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾.

وإن أي اعتقاد بأن الله مشابه أو ممثال للمخلوقات هو ضلال في العقيدة وكذب في حق الله تعالى ومعارضة لهذه الآية فكما آمنا بذات لا تشبه الذوات فما المانع من الإيمان بصفات لا تشبه الصفات الأخرى فانتفى بذلك أي تشبيه وتطلع لمعرفة كيفيات صفات ربنا عز وجل.

وأوضح ما سبق بهذا المثال.

إن الإنسان لا يشك بأن له روحاً وهو يؤمن بهذه الحقيقة إيماناً جازماً وهو مع هذا الإيمان الجازم لا يعرف كيفية هذه الروح، ولكن جهله بكيفية روحه لا ينفي حقيقة وجودها، مع أن الروح بين جنبي الإنسان وأقرب شيء إليه وحياته متعلقة بوجودها، فكيف نروم بعد هذا معرفة كيفية ذات خالق هذه الروح وخالق كل شيء، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**وما**

قدروا الله حق قدره﴾. ﴿وكان الإنسان ظلوماً جهولا﴾. ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾.

وإلا فبالله عليكم أروني أي فرق بين قوله تعالى: **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** وبين قوله تعالى: **﴿إن الله سميع بصير﴾** وقوله تعالى: **﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمنيه﴾** وبين قوله تبارك وتعالى: **﴿تبارك الذي بيده الملك﴾** فلم توهمتم كل التشبيه والتمثيل في آية الاستواء والقبضة، فنفيتم ذلك عن ربكم، بينما لم تتوهموا شيئاً من ذلك في الآية التي أثبتت لربكم صفتي السمع والبصر، فلم هذا التفريق القائم على الظن الباطل والخيال الفاسد.

فالله تبارك وتعالى تعبدنا بالألفاظ والمعاني في كلامه فلا ينبغي لنا أن نأتي بألفاظ من عند أنفسنا، أو أن نأتي بمعاني جديدة لهذه الألفاظ الشرعية التي جاءت عن الله ورسوله، وليس الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بالهين ليلقى إلى مجاري الظنون وسبل الشكوك والريب.

بل إن المأولة يقفون موقف المضطرب حتى في الآية الواحدة أحياناً ومثال ذلك موقفهم من قول الله تبارك وتعالى: **﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾**[1]. فهم يؤمنون بكل هذه القضايا المذكورة في الآية حسب ظاهرها بينما لا يؤمنون باستواء الله على العرش حسب ظاهر الآية، فهم قد آمنوا بظاهر

---

(١) سورة يونس آية ٣.

بعض الآية ولم يؤمنوا بظاهر بعضها الآخر، فآمنوا بأن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام، - ولم يؤمنوا بأن الله استوى على العرش، وهذا ربنا تبارك وتعالى يدعونا بعد ذلك في هذه الآية - بعد أن عرفنا بما اتصف به - إلى القيام بالمهمة العظمى من خلقنا فندبنا بعد هذه الصفات العظيمة إلى عبادته، وإن الإيمان بهذه الصفات المذكورة في الآية مما يدفع المسلم إلى الإخلاص في عبادة ربه، هذا الإخلاص المتولد عن الإيمان بهذه الصفات التي وصف الله بها نفسه، وأقامها في معرض التعريف به، فلم أيها المأول أعطيت الصفة التي آمنت بها في هذه الآية كل التسليم والتعظيم وجئت إلى ما ذكره الله تعالى عن نفسه من استوائه على عرشه فلم يحظ ذلك منك بذلك التسليم والتعظيم والإيمان اللائق.

كما أنني لا أزعم أنني في هذا البحث المختصر اتهم العلماء الذين ليسوا على النهج السلفي في العقيدة - بالخيانة العلمية، أو الإهمال العلمي.. لأن كثيراً من هؤلاء إنما أُتوا من تقصيرهم بالاهتمام بمعرفة مذهب السلف، وزاد في هذا العزوف ما علق في أذهانهم من أن مذهب السلف في الصفات هو التفويض، فإن هذا كان من الأسباب الكبيرة التي باعدت الشقة بينهم وبينه[1].

يقول الدكتور علي سامي النشار والدكتور عمار الطالبي في مقدمة تحقيقهما لمجموعة من رسائل السلف بعنوان «عقائد السلف»:

---

(١) يقول شيخ الإسلام: فالعجز يكون عذراً للإنسان في أن الله لا يعذبه إذا اجتهد الاجتهاد التام. هذا على قول السلف والأئمة في أن من اتقى الله ما استطاع إذا عجز عن معرفة بعض الحق لم يعذب به، ج ٥ ص ٢٢٣.

لم يعتن الباحثون في مجال العقائد الإسلامية وأصولها بدراسة أو تحليل العقائد السلفية التي تعتمد على صريح القرآن وناطق السنة، والحقيقة أن دراسة الإسلام وعقائده لا يمكن أن تكون قائمة على سوقها إن لم تتناول ماكتبه السلف من أهل القرن الثالث والرابع وما صنفه من نهج نهجهم من بعدهم على توال العصور إلى عهد ابن تيمية ومن أخذ عنه من الأعلام حتى عصرنا هذا.

ولذلك رأينا أن نتجه لدراسة هذا الجانب الأساسي في مجال الدراسات الإسلامية وأن نعطيه ما يستحقه من عناية واهتمام، ونعتقد أن أول خطوة في هذه الدراسة إنما هي نشر هذه المؤلفات الدفينة وبعث هذه الرسائل والنصوص التي غفل أكثر الناس عنها حتى أن المؤسسات الثقافية الكبرى عندنا كالأزهر وبقية الجامعات لم تولها أي اهتمام ولا اعتبار في مناهجها ودراستها ذلك أن الدارسين اعتمدوا على كتب المتأخرين المشوبة بكثير من الأنظار الغربية الدخلية وآراء عهد الحضارة الإسلامية مع أن المنهج العلمي التاريخي الصحيح يقتضي أن نرجع إلى الأصول الأولى قبل كل شيء»[1].

إن الذين ينفون بعض صفات الله التي أثبتها الله لنفسه في كتابه أو أثبتها له النبي ﷺ، هم على خطر عظيم وأن تأويلهم لهذه الصفات لا يعفيهم من مغبة عظيم ما وقعوا فيه من تحريف لهذه الصفات وتبديل لها وإن كان الكثير منهم يسمى هذا التحريف والتعطيل بغير اسمه فيسمونه تارة تأويلاً وتارة مجازاً.

---

(١) المقدمة. الصفحة الأولى.

فهم بذلك قد عطلوا كثيراً من المحامد التي تمدَّح الله بها نفسه في القرآن الكريم لأن الله تعالى يحب أن تلهج الألسنة بحمده، ولذلك فقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ: أخبروه أن الله يحبه»[1] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ولا شيء أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه»[2] وهل يكون مدح الله تعالى بغير ما مدح به نفسه أو مدحه به رسوله من صفات الكمال ونعوت الجلال والإلتجاء إليه سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وقد ندبنا الله تعالى إلى ذلك قوله: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾. يقول العلامة الشنقيطي في سبحانه جلا وعلا على آية الاستواء في سورة الأعراف: فتمدَّح سبحانه جل وعلا في سبع آيات من كتابه باستوائه على عرشه ولم يذكر صفة الاستواء إلا مقرونة بغيرها من صفات الكمال والجلال القاضية بعظمته وجلاله جل وعلا وأنه الرب وحده المستحق لأن يعبد وحده.

الموضع الأول: بحسب ترتيب المصحف الكريم قوله هنا في سورة الأعراف: ﴿**إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل والنهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إلا له الخلق**

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٣٤٧.

(٢) رواه البخاري ٨/ ٥٩٥ الفتح ومسلم في اللعان رقم ١٧.

والأمر تبارك الله رب العالمين﴾[1] وهكذا في سائر الآيات التي فيها صفة الاستواء في سورة يونس آية ٣، والرعد آية ٢، وطه آية ٥، والفرقان آية ٥٩، والسجدة آية ٤، والحديد آية ٤» اهـ.

إن المجاوز لما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله قد ضل وزل وخسر وخاب لأن في ذلك استدراك فيما لا استدراك فيه ويكفي لمعرفة بطلانه أن يعلم أن من المتفق عليه لدى العلماء أنهم يردُّون عند النزاع في أمور دينهم الأمر إلى الكتاب والسنة امتثالاً لأمر الله تعالى بذلك في قوله: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً**﴾ فكيف يصح الرد هنا أو كيف يكون بعد انعدام الضابط وفقدان الميزان لأننا لا نعرف أن فلاناً زاد في وصف الله تعالى أو جاوز وتعدى في ذلك إلا بالكتاب والسنة، فمن أين يأتي هذا على كلامه بدليل بعد أن عُدم الدليل من التنزيل، وهل يصح لأحد أن يؤمن بمقال ليس له ذكر في الكتاب والسنة، أو يلتزم الإيمان بعقيدة ليس مصدرها الوحي.

ويتناول ابن كثير في رسالته «العقائد» موضوع تحريف الصفات فيقول: «ثم الكفر بالتحريف والتبديل قد يكون مخرجاً عن الإسلام وقد لا يكون، فإن كان مخرجاً كالتحريف في صفات الباري عز وجل المؤدي إلى تشبيهه بخلقه سبحانه وتعالى أو تعطيلها أو إخراجها عن معنى يليق بجلاله فهو كفر مخرج من الدين بلا شك»[2].

---

(١) أضواء البيان للشنقطي ٢/ ٢٨٣.

(٢) (ق ١٩/ ١).

ويقول الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى في آخر رسالته «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات» ما نصه: «إنه ينبغي للمؤولين أن يتأملوا آية من سورة الفرقان وهي قوله تعالى: ﴿**ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيراً**﴾ ويتأملوا معها قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿**ولا ينبئك مثل خبير**﴾ فإن قوله في الفرقان: ﴿**فاسئل به خبيرا**﴾ بعد قوله: ﴿**ثم استوى على العرش الرحمن**﴾ يدل دلالة واضحة أن الله الذي وصف نفسه بالاستواء خبير بما يصف به نفسه لا تخفى عليه الصفة اللائقة من غيرها، ويفهم منه الذي ينفي عنه صفة الاستواء ليس بخبير، نعم هو والله ليس بخبير»[1].

ويقول الشيخ عبد القادر الجيلاني في «الغنية»:

«وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش، لا على معنى القعود والنمماسة كما قالت المجسمة والكرامية، ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية، ولا على معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة، لأن الشرع لم يرد بذلك الحديث ذلك بل المنقول عنهم حمله على الإطلاق، وقد روى عن أم سلمة زوج النبي ﷺ في قوله عز وجل: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ قالت: الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به واجب والجحود به كفر»[2].

ويقول أيضاً: وكونه عز وجل على العرش مذكور في كل

---

(١) ص ٢٦

(٢) ص ٥٦.

كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف، ولأن الله تعالى فيما لم يزل موصوف بالعلو والقدرة والاستيلاء والغلبة على جميع خلقه من العرش وغيره، فلا يحمل الاستواء على ذلك، فالاستواء من صفات الذات بعد ما أخبرنا به ونص عليه وأكده في سبع آيات من كتابه، والسنة المأثورة به وهو صفة لازمة له ولائقة به كاليد والوجه والعين والسمع والبصر والحياة والقدرة وكونه خالقاً رازقاً ومحيياً مميتاً موصوف بها ولا نخرج من الكتاب والسنة نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيها ونكل الكيفية في الصفات إلى علم الله عز وجل»[1].

كما ذكر البعض اختلاف بعض علماء السلف حول تفسير بعض الصفات وأن لهم عبارات جاءت مختلفة في بيان ذلك. وإن كان هذا الخلاف يسيراً جداً وذلك مثلاً كاختلافهم في معنى الاستواء على العرش، فأبو العالية قال معنى استوى ارتفع وقال مجاهد معنى استوى علا، فيجعل من هذا الاختلاف في العبارة أصلاً يرى بموجبه إن معاني هذه الصفات قضية اجتهادية بدليل اختلافهم فيها وإنها ليست يقينية.

---

(١) ص٥٧ . ربما لا يروق هذا الكلام لكثير ممن يعظمون الكيلاني فيسارعون إلى إنكاره أو إلى حذفه من كتابه، فقد ذكر الشيخ نعمان خير الدين الألوسي في كتابه «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» ما نصه: ولا عبرة بما صنعه بعض العلماء الخلفيين من رفع هذا البحث من كتاب «الغنية» لأن نقل هذه العقيدة عنه قدس سره مستفيض في كثير من كتب المؤلفين وزير المتقدمين» ص ٤٠٢.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن بعض أكابر أصحاب الإمام الشافعي رحمه الله قال: «إن في القرآن ألف دليل أو أزيد على أن الله تعالى عال على الخلق وأنه فوق عباده».

فأقول في الرد على هذا الرأى، إن القضية هنا لا تؤخذ بمثل هذه الظنون، لأنه لا خلاف بين علماء السلف حول إثبات صفة العلو لله رب العالمين كما أنه لا خلاف أصلاً بين معنى العلو ومعنى الارتفاع.

وقد أطلق بعض علماء السلف عبارة «استوى بذاته» وبعضهم قال: «استواء استقرار»..

ونحن نصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا نزيد على كلام الله ولا على كلام رسوله، وهذا هو الحق والصواب والأسلم إذ به يكون الاتباع الكامل لعقيدة السلف الصالح.

ولذلك فإن الإمام الذهبي قد عقَّب في كتابه «العلو» على عبارة الشيخ أبي أحمد الكرجي الشافعي «استواء استقرار» بقوله: «ليته حذفها فإن ذلك لا فائدة منه بوجه والباري منزه على الراحة والتعب، وقد أغنى الله تعالى عن العبارات المبتدعة فإن النصوص في الصفات واضحة»[1].

كما عقب الإمام الذهبي على عبارة ابن أبي زيد القيرواني «استوى بذاته» بقوله: «ليته تركها»، و «إنما أراد ابن أبي زيد وغيره التفرقة بين كونه تعالى معنا وبين كونه تعالى فوق العرش فهو كما قال: ومعنا بالعلم وأنه على العرش كما أعلمنا حيث يقول: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾. وقد تلفظ بالكلمة المذكورة أي استوى بذاته ـ جماعة من العلماء وبلا ريب أن

---

(١) ص ١٧٥.

فضول الكلام تركه من حسن الإسلام»[1].

وأنا أقول بل تركه من الاعتقاد ولذلك فقد رد المحققون من علماء السلف على من شط في ذلك فقال بلوازم بعض الصفات، ومن ذلك القول بإثبات الحركة لله تعالى لأنها من لوازم النزول، فردوا عليهم بأن لوازم الصفات غير مرادة ولا تطَّرد في حق الله تعالى، ولازم الصفة ليس صفة لله تعالى لأنه وصف جديد لله سبحانه وتعالى لا ذكر له في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ.

ولذلك فقد قال الإمام أحمد رحمه الله: «النزول حق ونقول به من غير انتقال ولا حلول في الأمكنة».

كما نقل ابن البَنّا عن الإمام أحمد قوله في النزول: «لا يقال بحركة ولا انتقال»[2].

وأترك المجال لفارس هذا الميدان عمدة المتأخرين في تقدير عقيدة السلف الصالح شيخ الإسلام وقدوة الأنام ابن تيمية رحمه الله تعالى إذ يقول: إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات، فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد ـ إلى ساعتي هذه ـ عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته وبيان أن ذلك

---

(١) ص ١٧٢ المرجع السابق.

(٢) لوامع الأنوار البهية ١/ ٢٠٩.

من صفات الله ـ ما يخالف كلام المتأولين ـ ما لا يحصيه إلا الله.

وتمام هذا أني لم أجدهم تنازعوا إلا في مثل قوله تعالى: ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ فروى عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة، إن الله يكشف عن الشدة في الآخرة، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين[1].

ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال: ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله، ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر، ومثل هذا ليس بتأويل، إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف، ولكن كثير من هؤلاء يجعلون اللفظ على ما ليس مدلولاً له، ثم يريدون صرفه عنه، ويجعلون هذا تأويلاً، وهذا خطأ من وجهين كما قدمناه غير مرة»[2].

وقال العلامة ابن القيم:

فصل في تعجيز المتأولين عن تحقيق الفرق بين ما يسوغ تأويله من آيات الصفات وأحاديثها مما لا يسوغ.

لا ريب أن الله وصف نفسه بصفات وسمى نفسه بأسماء

---

(١) ولفظه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساق، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاء سمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً».

(٢) الفتاوي ٦/ ٣٩٤ فتح الباري ٩/ ٦٦٣.

وأخبر عن نفسه بأفعال. وأخبر أنه يحب ويكره ويمقت ويغضب ويرضى ويسخط ويجيء ويأتي وينزل إلى سماء الدنيا وأنه استوى على عرشه وإن له علماً وحياة وقدرة وإرادة وسمعاً وبصراً ووجهاً وإن له يدين ووصفه رسوله بأنه يفرح ويضحك وأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه وغير ذلك.

فيقال للمتأول: تتأول هذا كله على خلاف ظاهره أم تفسير الجميع على ظاهره وحقيقته أم تفرق بين بعض ذلك وبعضه؟ فإن تأولت الجميع وحملته على خلاف حقيقته كان ذلك عناداً ظاهراً وكفراً صراحاً وجحداً لربوبيته وهذا مذهب الدهرية الذي لا يثبتون للعالم صانعاً. فإن قلت: أثبت للعالم صانعاً ولكن لا أصفه بصفة تقع على خلقه، وحيث وصف بما يقع على المخلوق تأولته، قيل له: فهذه الأسماء الحسنى والصفات التي وصف بها نفسه هل تدل على معان ثابتة هي حق في نفسها أو لا تدل؟ فإن نفيت دلالتها على معنى ثابت كان ذلك غاية التعطيل. وإن أثبت دلالتها على معان هي حق في نفسها ثابت، قيل لك: فما الذي سوَّغ لك تأويل بعضها دون بعض؟ وما الفرق بين ما أثبتها ونفيتها من جهة السمع أو العقل، ودلالة النصوص على أن له سمعاً وبصراً وعلماً وقدرة وإرادة وحياة وكلاماً كدلالتها على أن له محبة ورحمة وغضباً ورضا وفرحاً وضحكاً ووجهاً ويدين. فدلالة النصوص على ذلك سواء، فلم نفيت حقيقة رحمته ومحبته ورضاه وغضبه وفرحه وضحكه وأولتها بالإرادة؟ فإن قلت: إن إثبات الإرادة والمشيئة لا يستلزم تشبيهاً وتجسيماً، وإثبات حقائق هذه الصفات يستلزم التشبيه والتجسيم فإنها لا تعقل إلا في الأجسام، فإن الرحمة رقة تعتري طبيعة الحيوان،

والمحبة ميل النفس لجلب ما ينفعها ودفع ما يضرها وكذلك جميع ما أثبته من الصفات إنما هي أعراض قائمة بالأجسام في الشاهد. فإن العلم انطباع صورة المعلوم في نفس العالم، أو صفة عرضية قائمة به، وكذلك السمع والبصر والحياة أعراض قائمة بالموصوف. فكيف لزم التشبيه والتجسيم من إثبات تلك الصفات ولم يلزم من إثبات هذه؟ فإن قلت: أنا أثبتها على وجه لا يماثل صفاتنا ولا يشبهها. قيل لك: فهلا أثبت الجميع على وجه لا يماثل صفات المخلوقين؟ فإن قلت: هذا لا يعقل، قيل لك: فيكف عقلت سمعاً وبصراً وحياة وإرادة ومشيئة ليس من جنس صفات المخلوقين؟ فإن قلت: أنا أفرق بين ما يتأول وبين ما لا يتأول، بأن ما دل العقل على ثبوته يمتنع تأويله كالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر، وما لا يدل عليه العقل يجب أن يسوغ تأويله كاليد والوجه والضحك والفرح والغضب والرضى فإنه الفعل المحكم دل على قدرة الفاعل، وأحكامه دل على علمه، والتخصيص دل على الإرادة فيمتنع مخالفة ما دل عليه صريح العقل. قيل لك: وكذلك الإنعام والإحسان وكشف الضر وتفريج الكربات دل على الرحمة كدلالة التخصيص على الإرادة سواء. والتخصيص بالكرامة والاصطفاء والاختيار دل على المحبة كدليل ما ذكرت على الإرادة، والإهانة والطرد والإبعاد والحرمان دال على المقت والبغض كدلالة ضده على الرضا. ونقول ثانياً: هب أن العقل لا يدل على إثبات هذه الصفات التي نفيتها فإنه لا ينفيها. والسمع دليل مستقل بنفسه، بل الطمأنينة إليه في هذا الباب أعظم من الطمأنية إلى مجرد العقل، فما الذي يسوغ لك نفي مدلوله. ويقال ثالثاً: إن كان ظاهر النصوص يقتضي تشبيها وتجسيماً فهو يقتضيه في الجميع، فأوِّل الجميع

وإن كان لا يقضي ذلك لم يجز تأويل شيء منه، وإن زعمت أن بعضها يقتضيه وبعضها لا يقتضيه طولبت بالفرق بين الأمرين.

وقالت طائفة: ما لم يكن ظاهره جوارح وأبعاضاً كالعلم والحياة لا يتأول وما كان ظاهره جوارح وأبعاضاً كالوجه واليدين والقدم فإنه يتعين تأويله لاستلزام إثباته التركيب والتجسيم.

قال المثبتون: جوابنا لكم هو عين الذي تجيبون به خصومكم من الجهمية والمعتزلة نفاة الصفات، فهم قالوا لكم: لو قام به سبحانه صفة وجودية كالسمع والبصر والعلم والقدرة والحياة لكان محلاً للأعراض ولزم التركيب والتجسيم والانقسام، كما قلتم لو كان له وجه ويد وأصبح لزم التركيب والانقسام وحينئذ فما جوابكم لهؤلاء نجيبكم به. فإن قلتم: نحن نثبت هذه الصفات على وجه لا تكون أعراضاً ولا نسميها أعراضاً فلا يستلزم تركيباً ولا تجسيماً. قيل لكم: ونحن نثبت الصفات التي أثبتها الله لنفسه ونفيتموها أنتم عنه على وجه لا يستلزم الأبعاض والجوارح ولا يسمى المتصف بها مركباً ولا جسماً ولا منقسماً. فإن قلتم: هذه لا يعقل منها إلا الأجزاء والأبعاض قلنا لكم: وتلك لا يعقل منها إلا الأعراض»[1].

وربما يتساءل البعض قائلاً: هل إثبات الصفات لله تعالى على الوجه اللائق بجلاله وعظمته أمر يجب أن يعلمه كل مسلم؟.

وللإجابة على هذا التساؤل نقول: إن الجماهير والعامة يكفيهم أن يعتقدوا أن كل ما جاء في الكتاب والسنة من

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص ٢٢ـ ٢٦ باختصار يسير جداً.

صفات الله تعالى حق، بغير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تأويل ولا تعطيل وأن يعتقدوا أن كل ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة حق وليس في ظاهر شيء منهما ما يوهم الباطل أو أن شيئاً من ظواهرهما غير مراد من الشارع.

وقد تعرض الإمام الغزالي في رسالته «إلجام العوام من علم الكلام» لهذه المسألة بدقة حيث يقول:

وأما أقل ما يجب اعتقاده على المكلف فهو ما يترجمه قوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله. ثم إذا صدق الرسول فينبغي أن يصدقه في صفات الله تعالى فإنه حي قادر عالم متكلم مريد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وليس عليه البحث عن حقيقة هذه الصفات. وإن الكلام والعلم وغيرهما قديم أو حادث بل لو لم تخطر له هذه المسألة حتى مات، مات مؤمناً وليس عليه تعلم الأدلة التي حررها المتكلمون. بل كلما حصل في قلبه التصديق بالحق بمجرد الإيمان من غير دليل وبرهان فهو مؤمن، ولن يكلف رسول الله ﷺ أكثر من ذلك. وعلى هذا الاعتقاد المجمل استمرت الأعراب وعوام الخلق إلا من وقع في بلدة يقرع سمعه فيها هذه المسائل. كقدم الكلام وحدوثه ومعنى الاستواء والنزول وغيره فإن لم يأخذ ذلك قلبه وبقي مشغولاً بعبادته وعمله فلا حرج عليه، وإن أخذ ذلك بلبه فأقل الواجبات عليه ما اعتقده السلف فيعتقد في القرآن القدم كما قال السلف، القرآن كلام الله غير مخلوق، ويعتقد أن الاستواء حق والسؤال عنه مع الاستغناء بدعة والكيفية فيه مجهولة فيؤمن بجميع ما جاء به الشرع إيماناً مجملاً من غير بحث عن الحقيقة والكيفية. فإن لم ينفعه ذلك، وغلب على قلبه الإشكال والشك فإن أمكن إزالة

شكه وإشكاله بكلام قريب من الأفهام وإن لم يكن قوياً عند المتكلمين ولا مرضياً عندهم ـ فذلك كاف ولا حاجة به إلى تحقيق الدليل بل الأولى أن يزال إشكاله من غير برهان حقيقة الدليل فإن الدليل لا يتم إلا بدرك السؤال والجواب عنه: ومهما ذكرت الشبهة فلا يبعد أن ينكر بقلبه ويكل فهمه عن درك جوابه إذ الشبهة قد تكون جلية والجواب دقيقاً لا يحتمله عقله ـ ولذا زجر السلف عن البحث والتفتيش عن الكلام وإنما زجروا عنه لضعفاء العوام[1].

وقال الإمام الغزالي في رسالته «القسطاس المستقيم»:

«أما الأصول فليس عليك أن تعتقد فيها إلا ما في القرآن فإن الله تعالى لم يستر عن عباده صفاته وأسماءه فعليك أن تعتقد أن لا إله إلا الله وإن الله حي عالم قادر سميع بصير جبار متكبر قدوس ليس كمثله شيء، إلى جميع ما ورد في القرآن واتفق عليه الأئمة فذلك كاف في صحة الدين وإن تشابه عليك شيء فقل: آمنا به كل من عند ربنا، واعتقد كل ما ورد في إثبات الصفات ونفيها على غاية التعظيم والتقديس مع نفي المماثلة واعتقد أنه ليس كمثله شيء وبعد هذا لا تلتفت إلى القيل والقال فإنك غير مأمور به ولا هو على حد طاقتك فإن أخذ يتحذلق ويقول له وقد اختلفت الأشعرية والمعتزلة فقد خرج بهذا عن حد العوام إذ العامي لا يلتفت قلبه إلى مثل هذا ما لم يحركه شيطان الجدل فإن الله لا

---

(١) ص ٢/٥٩ ج الرسالة الوعظية لأبي حامد الغزالي، ضمن مجموعة القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي تحقيق محمد مصطفى أبو العلا.

يهلك قوماً إلا يؤتيهم الجدل كذلك ورد الخبر»[1].

ويقول شيخ الإسلام: الواجب أمر العامة بالجمل الثابتة بالنص والإجماع ومنعهم من الخوض في التفصيل الذي يوقع بينهم التفرقة والاختلاف، فإن الفرقة والاختلاف من أعظم ما نهى الله عنه ورسوله» [الفتاوي ١٢/ ٢٣٧] فالمسلم العامي يقول: ما أمرني الله به قبلته وما نهاني عنه انتهيت، فإذا اعتقد ذلك بقلبه وأقر به بلسانه وألزم جوارحه ذلك كان مؤمناً بالكل من حيث الجملة.

ويقول الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: والصواب الإمساك عن أمثال هذه المباحث والتفويض إلى الله في جميعها والاكتفاء بالإيمان بكل ما أوجب الله في كتابه أو على لسان نبيه له أو تنزيهه عنه عن طريق الإجمال»[2].

---

(١) ج ١/ ٦٣ـ ٦٤ ضمن مجموعة القصور العوالي.

(٢) «فتح الباري» ١٣/ ٣٨٢.

فرية لا شبهة

نتيجة لموقف الأشاعرة المغاير لموقف السلف الصالح من صفات الله الخبرية والفعلية، توهم البعض أنه يلزمهم من ذلك التكفير والتضليل و . . . وهذا بالتالي يؤدي إلى أن ينسب ذلك الحكم إلى كثير من علماء الأمة حيث يزعمون أن جلهم من الأشاعرة.

ولا شك أن هذا الكلام ينطوي على مغالطات كبيرة وافتراءات مكشوفة لأن علماء السلف لم يكفروا الأشاعرة، ولنترك المجال لشيخ الإسلام ابن تيمية ليجيب على ذلك فيقول في مقام كلامه على الأشاعرة: «مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني: إني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معيَّن إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العلمية».

وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد بكفر ولا بفسق ولا معصية، كما أنكر شريح قراءة من قرأ ﴿**بل عجبتُ ويسخرون**﴾ وقال: إن الله لا يعجب، فبلغ ذلك إبراهيم النخعي فقال: إنما شريح شاعر يعجبه

علمه، كان عبد الله[1] أعلم منه وكان يقرأ: (بل عجبتَ).

وكما نازعت عائشة وغيرها من الصحابة في رؤية محمد ﷺ ربه[2]، وقالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، ومع هذا لم تقل لابن عباس ونحوه من المنازعين لها: إنه مفتر على الله. وكما نازعت في سماع الميت كلام الحي، وفي تعذيب الميت ببكاء أهله وغير ذلك.

ثم الشخص المعيَّن يلتغي حكم الوعيد فيه: بتوبة، أو حسنات ماحية، أو مصائب مكفرة، أو شفاعة مقبولة.

والتكفير هو من الوعيد. فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول ﷺ، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئاً»[3].

ويقول رحمه الله في موضع آخر عن أتباع الأشعري:

«وأتباعه الذين عرفوا رأيه، وأظهروا من مخالفة أهل السنة والحديث ما هو لازم لقولهم، ولم يهابوا أهل السنة والحديث، أو يعظموا أو يعتقدوا صحة مذاهبهم كما كان هو يرى ذلك. ولهذا كان متأخرو أصحابه كأبي المعالي ونحوه أظهر تجهماً وتعطيلاً من متقدميهم، وهي مواضع دقيقة يغض الله لمن أخطأ

---

(١) وهو ابن مسعود الصحابي الجليل رضي الله عنه.

(٢) وذلك في ليلة معراج النبي عليه الصلاة والسلام.

(٣) مجموع الفتاوي ٣/ ٢٢٧ـ ٢٣١ بتصرف يسير.

فيها بعد اجتهاده، ولكن الصواب ما أخبر به الرسول، فلا يكون الحق في خلاف ذلك قط، والله أعلم»[1].

ويقول سماحة شيخنا العلامة الجليل عبد العزيز بن باز في الرد على هذه الفرية: «ليس من أهل العلم السلفيين من يكفر هؤلاء أي الحافظ ابن حجر وغيره من الأشاعرة ـ وإنما يوضحون أخطاءهم في تأويل الكثير من الصفات، ويوضحون إن ذلك خلاف مذهب سلف الأمة، وليس ذلك تكفيراً لهم، ولا تمزيقاً لشمل الأمة، ولا تفريقاً لصفهم، وإنما في ذلك النصح لله ولعباده وبيان الحق والرد على من خالفه بالأدلة النقلية والعقلية، والقيام بما أوجب الله سبحانه على العلماء من بيان الحق وعدم كتمانه والقيام بالدعوة إلى الله والإرشاد إلى سبيله، ولو سكت أهل الحق عن بيانه لاستمر المخطئون على خطئهم وقلدهم غيرهم في ذلك، وباء الساكتون باثم الكتمان.

فإذا استمر أهل السنة في سكوتهم عن بيان أخطأ من خالف الكتاب والسنة شابهوا بذلك أهل الكتاب المغضوب عليهم والضالين[2].

ويقول سماحته في موضع آخر:

الفرق المخالفة لأهل السنة متفاوتون في خطئهم كالخوارج والمعتزلة والجهمية بلا شك، ولكن ذلك لا يمنع من بيان خطأ الأشاعرة فيما أخطاءوا فيه، ومخالفتهم لأهل السنة في ذلك،

---

(١) مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٢٤٧.

(٢) من رسالة: تنبيهات هامة على ما كتبه الشيخ الصابوني في الصفات لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ص ٤٠.

كما قد بين خطأ غيرهم لإظهار الحق وبيان بطلان ما يخالفه تبليغاً عن الله سبحانه وعن رسوله ﷺ وحذراً من الوعيد المذكور في قوله تعالى: ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم**﴾. ثم يقال: ليس الأسلم تفويض الأمر في الصفات إلى علام الغيوب، لأنه سبحانه بيَّنها لعباده وأوضحها في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين ﷺ ولم يبيِّن كيفيتها، فالواجب تفويض علم الكيفية لا علم المعاني وليس التفويض مذهب السلف بل هو مذهب مبتدع مخالف لما عليه السلف الصالح، وقد أنكر الإمام أحمد رحمه الله وغيره من أئمة السلف على أهل التفويض وبدَّعوهم، لأن مقتضى مذهبهم أن الله سبحانه خاطب عباده بما لا يفهمون معناه ولا يعقلون مراده منه، والله سبحانه وتعالى يتقدس عن ذلك، وأهل السنة والجماعة يعرفون مراده سبحانه بكلام ويصفونه بمقتضى أسمائه وصفاته، وينزهونه عن كل ما لا يليق به عز وجل.

وقد علموا من كلامه سبحانه ومن كلام رسول الله ﷺ أن سبحانه موصوف بالكمال المطلق في جميع ما أخبر به عن نفسه أو أخبر به عنه رسوله ﷺ»[1].

ويقول سماحة العلامة شيخنا عبد الله بن حميد رحمه الله: «ومن أوَّل نصوص الصفات أو قال إنها ألفاظ لا يعقل معناها، ولا يدرى ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرأها ألفاظاً لا معاني

---

(١) ص ١٢ المرجع السابق.

لها، فقد أخطأ خطأً بيناً، بل هي آيات بينات دالة على أشرف المعاني وأجلها»[1].

كما ينبغي أن يعلم أن علماء السلف الصالح الداعين إلى العقيدة الصحيحة هم علماء القرون الثلاثة المفضلة ولا يستثنى منهم إلا من عرف ببدعة الإرجاء أو الجهمية والاعتزال ويكفي المسلم أن يعلم أنه على الحق إذا علم أنه على عقيدة سلفه فيها الصحابة والتابعون وأتباع التابعين من كبار الأئمة كسفيان الثوري وابن عيينه، وحماد بن زيد وابن عون وابن المبارك وأبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق والإمام البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه. وقد ذكر الإمام ابن بطه واللالكائي وغيرهما مئات الأسماء من علماء الأمصار الذين كانوا على عقيدة السلف الصالح.

ويقول شيخنا العلامة الألباني في مقدمته الرائعة لمختصر العلو ما نصه: «إني أعتب أشد العتب على الكتاب الإسلاميين اليوم - إلا القليل منهم - الذين يكتبون على الإسلام كل شيء ما عدا العقيدة السلفية والطريقة المحمدية وأخص بالذكر منهم أولئك الذين يتولون توجيه النشيء الجديد إلى الإسلام وتربيتهم بتربيته وتثقيفهم بثقافته فإنهم لا يحاولون مطلقاً أن يوحدوا مفاهيم حول الإسلام الذي اختلف فيه أهله أشد الاختلاف لا كما يظن بعض المغفلين أو المتغافلين أن الخلاف بينهم في الفروع فقط دون الأصول...

ثم قال في المقدمة نفسها:

---

(١) رسالة في التوحيد، لسماحة ص ١١٨.

«ولقد تنبه لهذا أخيراً بعض الدعاء الإسلاميين، فهذا هو الأستاذ الكبير سيد قطب رحمه الله تعالى، فإنه بعد أن قرر تحت عنوان «جيل قرآني فريد» إن هذه الدعوة أخرجت جيلاً مميَّزاً في الإسلام كله وفي تاريخ البشرية جميعه وإنها لم تعد تخرج من ذلك الطراز مرة أخرى، تساءل عن السبب مع أن قرآن هذه الدعوة لا يزال وحديث الرسول ﷺ وهديه العملي وسيرته الكريمة كلها بين أيدينا كما كانت بين يدي ذلك الجيل الأول ولم يغب إلا شخص رسول الله ﷺ «ثم نقل الألباني عن سيد كلاماً طويلاً، اخترت منه عدة سطور لأنني وجدت فيها مختصر كلامه السابق، يقول رحمه الله:

«كان رسول الله ﷺ يريد صنع جيل خالص القلب خالص العقل خالص التصور خالص الشعور خالص التكوين من أي مؤثر آخر غير المنهج الإلهي الذي يتضمنه القرآن الكريم. ذلك الجيل استقى إذن من ذلك النبع وحده فكان له في التاريخ ذلك الشأن الفريد ثم ما الذي حدث؟

اختلطت الينابيع! صبت في النبع الذي استقت منه الأجيال التالية فلسفة الأغريق ومنطقهم وأساطير الفرس وتصوراتهم وإسرائيليات اليهود ولاهوت النصارى وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات واختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم وعلم الكلام كما اختلط بالفقه والأصول أيضاً وتخرج على ذلك النبع المشوب سائر الأجيال بعد ذلك الجيل فلم يتكرر ذلك الجيل أبداً. إلى أن قال: نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم كل ما حولنا جاهلية.. تصورات الناس

وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم موارد ثقافتهم فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم. حتى الكثير مما تحسبه ثقافة إسلامية ومراجع إسلامية وفلسفة إسلامية وتفكيراً إسلامياً هو كذلك من صنع هذه الجاهلية.

لذلك لا تستقيم قيم الإسلام في نفوسنا ولا يتضح تصور الإسلام في قولنا ولا ينشأ فينا جيل ضخم من الناس من ذلك الطراز الذي أنشأه الإسلام أول مرة.

فلا بد إذن في منهج الحركة الإسلامية أن نتجرد في فترة الحضانة والتكوين من كل المؤثرات الجاهلية التي نعيش فيها ونستمد منها، لا بد أن نرجع ابتداء إلى النبع الخالص الذي استمد منه أولئك الرجال النبع المضمون الذي لم يختلط ولم تشبه شائبه، نرجع إليه نستمد منه تصورنا لحقيقة الوجود كله ولحقيقة الوجود الإنساني ولكافة الارتباطات بين هذين الوجودين وبين الجود الكامل الحق: وجود الله سبحانه. ومن ثم نستمد تصوراتنا للحياة وقيمنا وأخلاقنا ومفاهيمنا للحكم والسياسة والاقتصاد وكل مقومات الحياة. ثم لا بد لنا من التخلص من ضغط المجتمع مع الجاهلية والتصورات الجاهلية والتقاليد الجاهلية في خاصة نفوسنا، ليست مهمتنا أن نصطلح مع واقع هذا المجتمع الجاهلي ولا أن ندين بالولاء له فهو بهذه الصفة صفة الجاهلية غير قابل لأن نصطلح معه. إن مهمتنا أن نغيِّر أنفسنا أولاً لنغيِّر هذا المجتمع أخيراً.

وسنلقى في هذا عنتا ومشقة وستفرض علينا تضحيات

باهظة ولكننا لسنا مخيَّرين إذا نحن شئناً أن نسلك طريق الجيل الأول الذي أقر الله منهجه الإلهي ونصره على منهج الجاهلية»[1].

وأسوق في نهاية هذه المبحث قول العلامة الشوكاني في تفسيره عند آية سورة الأعراف ﴿**رب أرني أنظر إليك**﴾ بعد أن ناقش منكري رؤية الله تعالى في الآخرة ثم قال: ولكن الاعتقاد لمذهب نشأ الإنسان عليه وأدرك عليه آباءه وأهل بلده مع عدم التنبيه لما هو المطلوب من العباد لهذه الشريعة المطهرة يوقع في التعصب، والمتعصب وإن كان بصره صحيحاً فبصيرته عمياء، وأذنه عن سماع الحق صماء يدفع الحق وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل ويحسب ما نشأ عليه من الحق غفلة منه وجهلاً بما أوجبه الله عليه من النظر الصحيح وتلقي ما جاء به الكتاب والسنة بالإذعان والتسليم، وما أقل المنصفين بعد ظهور هذه المذاهب في الأصول والفروع فإنه صار بها باب الحق مرتجَّاً وطريق الإنصاف مستوعرة والأمر لله سبحانه والهداية منه.

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنهج الحق له واضح[2]

وقد وقفت على عبارة لطيفة للإمام أحمد رحمه الله، ذكرها أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي في اعتقاد الإمام أحمد. فقال: وكان دعاؤه في سجوده «اللهم من كان من هذه الأمة على غير الحق وهو يظن أنه على الحق فرده إلى الحق ليكون من أهل الحق»[3].

---

(١) انظر مقدمة شيخنا الألباني لمختصر العلو ص ٥٧ وما بعدها.

(٢) تفسير فتح القدير ٢/ ٢٣١.

(٣) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلي ج ٢ ص ٣٠٧.

أخي القارىء، أرجو الله تعالى أن تكون قد وفقت في هذا البحث الموجز لبيان جانب الصواب في هذه المسألة التي لا بد لكل مسلم أن يكون معتقده فيها موافقاً ومطابقاً لما كان عليه سلف هذه الأمة، لأن العودة إلى هذه العقيدة هي المؤشر الصحيح الذي يعني أننا جادون حقاً في العودة إلى حقائق هذا الدين. فالله تعالى يقول: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**. لأن الإصلاح إنما يبدأ من العقيدة وهذا يعني باختصار إعادة العلاقة الصحيحة بينك وبين ربك أيها المسلم، ورسوله ﷺ يقول: «إذا تبايعتم بالعينة.. سلَّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم».

والدين الحق هو ما كان عليه سيد الخلق وأصحابه البررة الأخيار، والتابعون المتقون الأطهار، ومن سلك سبيلهم من علماء الأمة وعلى رأسهم الأئمة الأربعة وبذلك يكون المسلك في منجاة من الضلال، متبعاً سبيل المؤمنين، غير مشاق لسنة النبي ﷺ، سائراً في ركب الصادقين **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾**.

كما أرجو من الذين لا يعجبهم هذا الكلام أن يفتحوا قلوبهم للحقيقة ويرتفعوا عن النظرة الضيقة والخصومات المقيتة المتوارثة التي لم ينتج عنها سوى ما يوقع الفرقة ويثير البغضاء ويرضي الشيطان ويفرح أعداء الإسلام.

نسأل الله تعالى أن يهدينا الصراط المستقيم ويمن علينا بالثبات عليه **﴿ربنا لا تزغ قلبونا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك**

رحمة إنك أنت الوهاب﴾ سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا وإمامنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

* **الإبانة عن أصول الديانة**، أبو الحسن الأشعري ـ ط.
* **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**، خ ـ لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري.
* **إثبات الفوقية والاستواء**، ط ـ ضمى مجموعة الرسائل المنيرية.
* **اجتماع الجيوش الإسلامية**، ط الإمام ابن القيم، **دار المعرفة**.
* **الأسماء والصفات**، ط ـ البيهقي.
* **الأعلان والتوبيخ لمن ذم التاريخ**، ط ـ السخاوي.
* **أعلان الساجد بأحكام المساجد**، ط ـ الزركشي.
* **أضواء البيان**، ط ـ الأمين الشنقيطي.
* **أقاويل الثقات**، خ ـ الشيخ مرعي الكرمى المقدس، **دار الكتاب العربي**.
* **إيثار الحق على الخلق**، لابن المرتضى ـ ط، **دار الكتب العلمية ـ لبنان**.
* **تأويل مختلف الحديث**، ط ـ ابن قتيبة، **مكتبة الكليات الأزهرية**.
* **تبين كذب المفتري**، ط ـ الحافظ ابن عساكر، **دار الكتاب العربي**.
* **التحفة المهدية في شرح التدمرية**، ط ـ فالح بن مهدي.
* **تفسير الكشاف**، ط ـ الزمخشري.
* **القرآن العظيم**، ط ـ ابن كثير.
* **تلبيس إبليس**، ابن الجوزي ـ تحقيق الوانلي، دار الوعي لبنان.
* **تنبيهات هامة على ما كتبه الصابوني في الصفات**، لسماحة الشيخ ابن باز.

* **التوحيد وإثبات صفات الرب**، لإمام الأئمة ابن خزيمة، **تحقيق**: د: **خليل هراس**.
* **حاشية الصاوي على الجلالين**.
* **الحجة في بيان المحجة**، خ ـ الشيخ أبو إسماعيل الأصفهاني التيمي.
* **الحلية**، ط ـ الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، **دار الفكر العربي**.
* **خصائص التصور في القرآن الكريم**، ط ـ سيد قطب.
* **خلق أفعال العباد**، ط ـ الإمام البخاري، **تحقيق**: **النشار والطالبي**.
* **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ط ـ السيوطي، **الناشر أمين دمج ـ لبنان**.
* **دراسات في منهج الأسماء والصفات**، ط ـ الأمين الشنقيطي، **مؤسسة مكة**.
* **ذم التأويل**، ط ـ لابن قدامة المقدسي.
* **ذيل طبقات الحنابلة**، ط ـ لابن رجب الحنبلي، **الناشر**: **دار المعرفة ـ لبنان**.
* **الرد على الجهمية**، ط ـ عثمان بن سعيد الدارمي، **تحقيق النشار والطالبي**.
* **الرد على المبتدعة**، خ ـ ابن البناء **مركز البحث العلمي بمكة**.
* **رسالة أهل الثغر**، خ ـ للإمام أبي الحسن الأشعري **نسخة تركيا**.
* **رسالة في الاعتقاد**، خ ـ لابن أبي زمنين، **نسخة تركيا**.
* **الرسالة الكبرى**، ط ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية **إحياء إلتراث العربي ـ لبنان**.
* **شرح السنة**، ط ـ للبغوي **المكتب الإسلامي**.
* **شرح أصول السنن**، خ ـ الإمام اللالكائي، **مركز البحث العلمي بمكة**.
* **شرح حديث النزول**، ط ـ ابن تيمية، **مركز البحث العلمي بمكة**.
* **شرح العقيدة الطحاوية**، ط ـ لابن أبي العز الحنفي **المكتب الإسلامي**.

* **التشريعة**، ط ـ للإمام أبي الحسين الآجري، **تحقيق: حامد الفقي**.
* **الصفات**، خ ـ الدارقطني.
* **طبقات الحنابلة**، ط ـ لابن أبي يعلى، **دار المعرفة ـ لبنان**.
* **العقائد**، خ ـ لابن كثير الدمشقي، **مركز البحث العلمي بمكة**.
* **عقيدة المسلم**، ط ـ للشيخ محمد الغزالي السقا.
* **عقيدة المسلم**.
* العلل، خ ـ للإمام الدارقطني، **مكتبة الشيخ عبد الرحيم صديق**.
* العلو، ط ـ للذهبي، **تحقيق: عبد الرحمن عثمان**
* **الغنية**، ط ـ للإمام عبد القادر الجيلاني ـ الطبعة الثالثة **١٩٥٦م**.
* **سنن أبي داود، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد**.
* **سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي**.
* **سنن الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة**.
* **سنن الدارمي، نشر دار إحياء السنة النبوية**.
* **سنن النسائي**، مع حاشية السيوطي، **دار الفكر ـ لبنان**.
* **السنن الكبرى**، للبيهقي، **دار الفكر ـ لبنان**.
* **صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي**.
* **فتح الباري**، للحافظ ابن حجر ط ـ السلفية.
* **الفقه الأكبر**، للإمام أبي حنيفة، **دار الكتب العلمية ـ بيروت**.
* **كشف الخفا**، ط ـ للعجلوني، **مكتبة القدسي**.
* **لمعة الاعتقاد**، ط ـ لابن قدامة المقدسي.
* **لوامع الأنوار البهية**، ط ـ للسفاريني ـ مطبعة المنار **١٣٢٣هـ، مطبعة المنار**.
* **مجموع فتاوي شيخ الإسلام**، ابن تيمية ط ـ الرياض.
* **مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي**.
* **مسائل الإمام أحمد**، لأبي داود السجستاني.
* **المستدرك**، لأبي عبد الله الحاكم، **نشر: دار الفكر ـ بيروت**.
* المعجم الكبير، لأحمد بن سليمان الطبراني، **تحقيق: حمدي عبد المجيد**.

* **المنخول في الأصول**، ط ـ لأبي حامد الغزالي، **تحقيق**: **د. حسن هيتو**.
* **مناقب أحمد**، ط ـ ابن الجوزي، **تحقيق**: **د. عبد الله التركي**.
* **موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول**، ط ـ ابن تيمية.
* **ميزان الاعتدال**، ط ـ للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي.
* **نقض الدارمي على المرسي**، ط ـ عثمان بن سعيد الدارمي، **تحقيق**: **النشار والطالبي**.
* **الملل والنحل**، للشهرستاني، **تحقيق**: **سيد الكيلاني**.

فهرس الموضوعات

مقدمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ٥
تقديم ٧
مقدمة الطبعة الخامسة ١٧
من ميزات العقيدة السلفية ٣٢
حقيقة مذهب السلف في الصفات ٥١
من هم المجسمة ١٠٣
(هل ظواهر نصوص الصفات مرادة أم غير مرادة) ١١٠
شبهة والرد عليها ١١٣
شبهة أخرى والرد عليها ١٢٤
معنى قول السلف إن الله في السماء ١٤١
مذهب الحنابلة في الصفات ١٤٨
صلة ابن تيمية بالعقيدة السلفية ١٥٢
موقف السلف من علم الكلام والجدال والخصومة في الدين ١٥٥
موقف المفكرين الإسلاميين من علم الكلام ١٦٠
حقائق هامة ١٦٤
فرية لا شبهة ١٨٦
مراجع البحث ١٩٦
فهرس الموضوعات ٢٠٠